شبلي العيسمي

حزب البعث العربي الاشتراكي



مرحلة الاربعينات التأسيسية

١٩٤٠ ـ ١٩٤٩

الجزء الأول

دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام
١٩٨٦

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
الطبعة السادسة بغداد ١٩٨٦

منقحة ومزيدة

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
العراق - بغداد اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

شبلي العيسمي

حزب البعث العربي الاشتراكي

مرحلة الاربعينات التأسيسية

١٩٤٠ ـ ١٩٤٩

الجزء الاول

«مقدمة الطبعة السادسة»

في تقديري ان اعادة طباعة الكتاب للمرة السادسة ، لا تعبر عن حاجة القارىء العربي للاطلاع على نشأة البعث العربي الاشتراكي كحركة نضالية متميزة فحسب ، وانما لان موضوعاته قد طرحت بأسلوب موضوعي بعيد عن الغرض الاعلامي او الانحياز الفئوي . وأرجو ألا يفهم من هذا القول انه نوع من التقويم أو الاطراء وانما لتوكيد ايماني بالاسلوب الموضوعي والمنهج العلمي في عرض الوقائع وطرحها ، وبأن الفائدة الحقيقية تكمن في مدى الالتزام بالحقائق التاريخية . وانطلاقا من ذلك ، فأنني أضفت اليه فصلا جديدا يتضمن جملة قضايا عن فكر البعث ونضاله في المرحلة التأسيسية ، حصلت عليها من خلال المتابعة والتقصي طيلة السنوات الاثنتي عشرة الماضية ، بعضها يتعلق بمؤسسي البعث وبالمؤتمر التأسيسي الأول ، في حين أن بعضها الآخر يتعلق بالسمات العامة والملامح المميزة لمرحلة الاربعينات التأسيسية ،

مع الاشارة الىٰ بعض ظواهر التطور في المراحل التي تلتها ، هذا ولي أمل في أن اتمكن في طبعة قادمة من أن أضع في قسم الملاحق ، لائحة بأسماء الذين حضروا المؤتمر التأسيسي بعد أن استكمل الحصول عليها واستوثق من صحتها .

وبعد : فان ما لقيه من رواج ، هذا الجزء الأول من تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي ، وكذلك الجزء الثاني عن مرحلة النمو والتوسع من عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٨ ، قد حملني علىٰ كتابة الجزء الثالث منه وهو بعنوان : المرحلة الصعبة في الحكم والتنظيم من ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨ م . ولعل شعوري بضرورة انجازه ، بعد التأخير الذي تكرر ، لانشغالي بموضوعات أخرىٰ عارضة ، يشكل لدي حافزاً قويا يدفعني لكي اتفرغ له وافرغ منه في وقت قريب .

المؤلف

مقـدمــة[1]

فكرة الكتابة عن تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي ، كانت تجول في خاطري منذ زمن بعيد ، ولكنني احجمت في الماضي عن تحقيقها لأكثر من سبب . ولعل اهمها ناتج عن نوع من التهيب ، لأعتقادي بأن موضوعاً كهذا ، علىٰ جانب كبير من الدقة والاهمية ، يتطلب لجنة أو مجموعة من الرفاق الاكفاء المتفرغين ، كي يتمكنوا من انجازه بالشكل المطلوب ، وعلىٰ أفضل ما يكون الانجاز . هذا فضلا عن أن ظروفي الراهنة لا تسمح لي بالتفرغ له ، ومن ثم الكتابة فيه بالشكل الذي يرضي عقلي وضميري ، ويحقق الفائدة المرجوة منه . علىٰ انني اعتزمت أخيرا القيام به ، للمبررات التالية :

١ - قياسا الىٰ المحاولات الكثيرة التي جرت في السابق ، فان الانتظار الىٰ أن تقوم بهذا العمل مجموعة من الرفاق او لجنة متفرغة كفوءة ، قد يستمر زمنا طويلا ، وربما أطول مما يجب ، والىٰ الحد الذي قد يؤدي لضياع كثير من الوقائع المهمة ، اذا لم يتح لها من يجمعها ويعنى بها من وقت مبكر . ومن هنا يصبح من الجائز والمفيد ، بآن واحد ، أن نأخذ بالحكمة القائلة «ما لا يدرك كله لا يترك كله» .

٢ - لقد كثر عدد الذين راحوا يكتبون عن حزب البعث ، ويعرضون تاريخه للرأي العام ، وجلهم ان لم نقل كلهم ، لم يفوا الموضوع حقه ، فضلا عن ان بعضهم من غير العرب ، وممن زعموا بأن غرضهم البحث العلمي وتدوين الحقيقة ، انزلقوا مع احكام وتقييمات ، ليست خاطئة حسب ، بل تفوح منها رائحة الهوىٰ والتشويه . كما ان الذين كتبوا عنه

---

(١) التوضيحات الموضوعة في الهوامش ضمن قوسين كبيرين ، مزيدة للطبعة الثانية .

من العرب ، ومعظمهم من الذين كانوا في يوم من الايام ، من اعضائه فملّوا وتخلوا عنه ، او انه تخلىٰ هو عنهم ، قد عرضوا من تاريخه ما يبرر وجهة نظرهم ، التي غالبا ما يسقطون فيها اخطاءهم علىٰ الحزب ، أو يهدفون من ابرازهم لأخطائه ، استرضاء فئات وقوىٰ سياسية معينة ، يطيب لها مقاومة الحزب والاساءة اليه .

٣ ـ ولعل اختصاصي بمادة التاريخ ، ومواكبتي الطويلة لتاريخ الحزب ، منذ نشأته حتىٰ الآن ، واهتمامي به وحرصي عليه من العبث والضياع ، مع شعوري بأن الحاجة الىٰ تدوينه غدت قائمة وملحة . لعل هذا كله ، من العوامل المشجعة لي علىٰ هذه المحاولة . علىٰ انه لابد من الاشارة في هذه المناسبة ، الى الملاحظات الآتية :

● ان تاريخ حزب البعث وأفكاره وتجاربه الماضية ، لم تعد ملكا له ولأعضائه ، بل لكل مواطن عربي . وان ما وقع فيه من أخطاء ونكسات ، لا يضير ماضيه النضالي ، ولا يقلل من عظمة افكاره واهمية دوره في مسيرة الثورة العربية .

● ان الفائدة تتحقق بالقدر الذي تتوفر فيه الموضوعية والحقيقة التاريخية ، وهذه تتطلب الالتزام بالطريقة العلمية في فهم الاحداث وعرضها ، وهي الطريقة التي تعطي لوقائع الماضي ، حجمها الطبيعي ، ولا تضفي عليها من المعاني والاوصاف فوق ما تحتمل ، وأكثر مما كانت تعنيه في الظروف التي وقعت فيها .

● ان هذه المحاولة المتواضعة ، لا تتعارض مع كتابة تاريخ الحزب من لجنة مكلفة من أي مصدر حزبي ، وليست بديلا عنها ، ولكنها تهدف الىٰ اعطاء القارىء العربي ، فكرة مختصرة ومفيدة عن تاريخ الحزب وتراثه ، بشكل يجمع التنسيق والترابط ، الىٰ جانب الدقة والشمول

للنواحي الفكرية والنضالية والتنظيمية من حياة الحزب .

● بالرغم من ان الكتابة عن أحداث الماضي ، تغري بالمناقشة والتحليل ، وابداء الآراء الشخصية حولها ، فانني آثرت الابتعاد عن ذلك ، مع عدم التعرض لذكر الاشخاص ، الا عندما تقتضي الضرورة لان الغرض من هذه المحاولة ، هو تقديم صورة موضوعية وعامة ، عن تاريخ الحزب من خلال مؤتمراته وبياناته ، بعيدا عن الاحكام والاجتهادات الذاتية ، وكل ما من شأنه أن يثير الحساسية .

وبعد . . . فلئن اقتصرت هذه المحاولة المتواضعة على مرحلة الاربعينات ، وهي المرحلة التأسيسية من تاريخ الحزب ، فانني أرجو ان يكون فيها للقارىء ما ينشده ويفيده ، ولي ما يشجعني في المستقبل على متابعتها ، وانجاز مراحلها الباقية .

الفصل الأول

الحياة السياسية
السابقة والمرافقة لظهور البعث

أ ـ لمحة تاريخية :

القرون الاربعة من حكم الاتراك العثمانيين ، في معظم الاقطار العربية ، اتسمت بصورة عامة ، بالجمود والتخلف . وكانت امتدادا لعهود الانحطاط والضعف ، التي انتابت العرب في اواخر العهد العباسي ، بفعل ظروف وعوامل مختلفة ، كان ابرزها ، انقسامهم وظهور الدويلات المتنازعة في ما بينها . وفي المرحلة الاخيرة من حياة «الرجل المريض» ، اي الدولة العثمانية ، حيث اشتدت ضغوط الدول الاوربية عليها ، تأمينا لمصالحها ، وطمعا باقتطاع ما يمكن اقتطاعه ، من ممتلكاتها الواسعة ، لم يبدل العثمانيون ، سياستهم تجاه الاقطار العربية ، بل امعنوا في فرض العزلة الفكرية والاقتصادية عليها . واستمروا في ممارسة الظلم والاستغلال . وتمادوا في سياسة العزلة والاهمال وعمدوا لتقوية الزعامات الاقطاعية والعشائرية . واعتمدوا عليها في سحق الطبقات الكادحة واذلالها .

وعندما أطل القرن العشرون ، كانت افكار الثورة الفرنسية ، وأنباء الوحدات القومية ، لشعوب اوربا ، تفعل فعلها بين شعوب الدولة العثمانية . وظهرت جماعات من الاتراك ، تنادي بالتجدد والانبعاث القومي ، وبتجديد شباب الدولة العثمانية ، وخلق تركيا الفتاة ، على أسس قومية حديثة . ولكن مناداتهم هذه ، كانت مستندة الى الرابطة الطورانية ، ومشوبة بنزعة عرقية تعصبية ، تنبذ القوميات الاخرى ، وتحاربها وتسعى لاذابتها . ومن هنا كانت سياسة تتريك العرب ، وما رافقها من اضطهاد ، وما تبعها من محاولات لطمس لغتهم ، وتاريخهم ، والغاء دورهم ، قد أثارت العرب وحركت مشاعرهم القومية ، ودعت الكثيرين منهم ، لتشكيل الاحزاب والجمعيات التي أخذ بعضها طابعا أدبيا ، وراحت تهتم بقضايا العرب

السياسية والقومية ، كالمنتدى العربي ، والعربية الفتاة ، وحزب العهد والاخاء العربي ، والجمعية القحطانية . . الخ . . . وقد مهد لهذا الوعي القومي ، وساعد على نموه ، في مرحلة سابقة ، ظهور عدد غير قليل من الكتّاب والادباء العرب ، الذين اهتموا بإحياء اللغة العربية والتراث العربي . وظهور حركة الاصلاح الديني التي قادها الكواكبي والأفغاني ومحمد عبده وابن باديس والثعالبي وشكيب ارسلان . . وأكد أكثرهم على الربط بين العروبة والاسلام . بالاضافة الى تزايد عوامل الاحتكاك بالحضارة الاوربية ، والتأثر بنهضاتها القومية . هكذا يمكننا القول : ان الشعور القومي عند العرب ، نما قبيل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، وغدا أكثر قوة وقدرة ، على تخطي الرابطة الدينية وتجاوزها . وقد عبر عن ذلك انضمام العرب الى الحلفاء ضد الاتراك ، ومطالبتهم باستقلال البلاد العربية ، وتحقيق وحدتها ، وكان ابرز الزعماء المتحدثين باسمهم في تلك المرحلة ، هو الشريف حسين في الحجاز ، وابنه فيصل في سورية ، والذي قال قولته المشهورة : «اننا عرب قبل موسى وعيسى ومحمد» و «ان الدين لله والوطن للجميع» . . . .[1] .

وبعد انتهاء الحرب ، تقاسم الحلفاء تركة الدولة العثمانية ، ونكثوا بعهودهم للعرب ، وغدروا بهم ، وتآمروا على وطنهم ، فجزأوه وأخضعوه لسيطرتهم الاستعمارية المباشرة . ولئن كانت رابطة الدين الواحد ، التي جمعت العرب والاتراك ، في ظل الدولة العثمانية من العوامل التي أدت الى تخفيف حدة العداء والخصومة ، بين القوميتين العربية والتركية ، قبل اتباع سياسة التتريك خاصة ، فإن هذه الرابطة ، زالت بمجيء الاستعمار الغربي ، حيث راح الشعب ينظر اليه على انه أجنبي معتد ، غريب الوجه واللسان والدين . ثم أتت

الاحداث لتؤكد انه كان ـ بأساليبه العلمية الحديثة والخبيثة ـ أشد خطرا وأسوأ أثرا من العثمانيين على مستقبل العرب ، ذلك لانه أمعن في تجزئة الوطن العربي وتمزيقه ، ودعم الفئات البرجوازية والاقطاعية والانتهازية ، التي فضلت الحصول على الجاه والكسب الشخصي ، على حساب المصلحة القومية ، ومستقبل الامة .

من خلال هذه الظروف والاوضاع السياسية والاجتماعية ، ظهرت حركات وأحزاب وطنية ، في كل قطر عربي ، أخذت تقاوم الاستعمار ، وتطالب بالتحرر والاستقلال . ولم يكن بينها اتصال وتنسيق ، لضعف الوعي القومي لديها من جهة ، ولحواجز التجزئة القاسية التي فرضها الاستعمار من جهة ثانية او لصعوبة المواصلات والاتصال من جهة ثالثة . ولكن عندما كانت تنشب ثورة تحررية ، في أي قطر عربي ، كانت تجد لها عطفا شعبيا في الاقطار العربية الاخرى ، يتحول احيانا ، الى تظاهرات شعبية ، تعبر عن مشاعر الدعم والتأييد . هذا ويمكننا القول بصورة عامة : ان الاحزاب السياسية ، التي قادت الحركات الوطنية ، في مرحلة الاربعينات وقبلها ، كالكتلة الوطنية ، وحزب الشعب في سورية ، والوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال في العراق ، والوفد في مصر .... الخ .. لم تقم على أسس ثورية وتنظيمية دقيقة ، بل كانت الى حد بعيد ، عفوية مرتجلة ، يغلب عليها طابع الليبرالية والاصلاحية ، وتفتقر الى القيادات الواعية الصلبة والى العقيدة الواضحة ذات المحتوى الاجتماعي والبعد القومي الانساني . كما يعوزها التنظيم الثوري المعاصر . وكانت قيادتها في الاغلب تمثل الطبقة الاقطاعية والرأسمالية المعنية بمصالحها ، وذات النفوذ العشائري الموروث ، أكثر مما تمثل الجماهير الكادحة اداة

الثورة العربية ، وصاحبة المصلحة الحقيقية فيها .

هـذا ولكي تغدو أمـامنا أكـثر وضوحـا ، وبحيث تمكننـا من أن نستشف العوامل والظروف الموضـوعية ، التي مهـدت لظهـور البعث العربي الاشتراكي ، وساعدت علىٰ نموه وانتشاره ، وتركت عليه آثارها وبصماتها ، بشكـل او بآخـر ، لابد ان نستعـرض بإيجـاز ، الوضـع السياسي في القطر السوري بعد الاحتلال الفرنسي ، وطبيعة الاحزاب السياسية ومنطلقاتها الايديولوجية ، في مرحلة الاربعينات وقبلها . ذلك لأن البعث ، نقد معظم هذه المنطلقات وهاجمها ، وأراد تجاوزها ، كما جاءت افكاره ، في بعض نـواحيها ، كـرد فعل عليهـا ، او تطويـرا وتعميقا لجوانبها الايجابية .

ب ـ الحالة السياسية العامة في القطر السوري :

في ٢٤ تموز من عام ١٩٢٠ ، ولما تمض بضعة أشهر علىٰ الثامن من آذار ، وهو اليوم الذي اعلن فيه المؤتمـر السوري ، كـان الفرنسيـون قد بـاشروا بالزحف الىٰ دمشق ، فدخلوها عنوة بعد معركة ميسلون ، وفرضوا سلطتهم الاستعمارية المباشرة علىٰ سورية ، وعمدوا لتجزئتها واصطناع عدة دويلات فيها ، مع اذكاء النعرات الطائفية والاقليمية بين ابنائها . كما حاولوا الاستفادة من الزعامات العشائرية والاقطاعية ، وخلق عناصر سياسية جديدة ، يسهل تسخيرها واستخدامها ، مقابل الوصول الىٰ نفوذ مصطنـع ، وكسب مادي رخيص . غـير ان استخدامهم لهـذه الاساليب ، واعتمـادهـم عـلىٰ القـوة العسكرية ، لم يستطيعا منع الانتفاضات الشعبية ، والثورات الوطنية المتعددة ضدهم ، والتي كان أوسعها نطاقا وأبعدها أثرا الثورة السورية الكبرىٰ التي نشبت في صيف عـام ١٩٢٥ واستمرت عـامين بقيـادة سلطان الاطرش .

صحيح ان الفرنسيين استطاعوا ان يقضوا على هذه الثورة آخر الامر ، وأن يصوروا للعناصر النفعية المتخاذلة ، أن الامور استتبت لهم . واستطاعوا بالتالي ان يحملوها على التعاون الصريح معهم ، وتسلم مقاليد الحكم ، كواجهة وطنية لخدمة اغراضهم . ولكننا نلاحظ من جهة ثانية ، ان صمود الثورة ، طوال عامين كاملين ، في مواجهة الجيش الفرنسي القوي ، وبروز بطولات رائعة ، ومشاركة جماهير شعبية كادحة ، قد اعطت الدليل على طاقات ثورية ضخمة كما أدت الى اذكاء روح المقاومة ، للاستعمار الفرنسي ، ومن ثم ساعدت على نمو الحركة واتساعها .

لقد أدرك الفرنسيون ، ان الاعتماد على القوة العسكرية وحدها ، في حكم البلاد يثقل كاهلهم ، ولا يحق لهم الاستقرار ، ولا الاستمرار في الحكم ، بالشكل الذي يطمحون اليه . ولهذا سعوا لحمل أكبر عدد ممكن على التعاون معهم ، ولايجاد نظام من الحكم ، قائم على الانتخابات والتمثيل الشعبي ، ويضفي على حكمهم طابع الديمقراطية .

ففي عام ١٩٢٨ ، جرت انتخابات الجمعية التأسيسية ، وبرز التنافس فيها ، بين قائمتين : احداهما تمثل المتعاونين صراحة مع الفرنسيين وقد فشلت ، بينما فازت الثانية التي تمثل الكتلة الوطنية ، واستقطبت اكثرية الوطنيين ، الذي وقفوا في وجه المتعاونين مع فرنسا .

وبما ان الكتلة الوطنية ، لم تكن حزبا منظما ، وباعتبار ان قادتها ينتمون ، في أكثريتهم الساحقة ، الى الطبقة البرجوازية والارستقراطية ، فقد كانت معارضتهم للحكم الفرنسي ، متأرجحة بين العنف واللين . تعتمد احيانا على تحريك الاضرابات والتظاهرات ، وتلجأ ، احيانا اخرى الى التفاوض والمهادنة ، والرضوخ للامر الواقع ، بل وللمشاركة في الحكم ، جنبا الى جنب مع اتباع السلطة الفرنسية وعملائها .

ان الدستور الذي وضعه المجلس المنتخب عام ١٩٢٨ ، لم يرق للفرنسيين ، فطالبوا بتعديله ، حتىٰ اذا ما رفض الوطنيون الاستجابة لهذا الطلب ، عمد المفوض السامي لتعطيله مدة عامين ، ثم أضاف اليه المادة (١١٦) المشهورة وتفضي ، عمليا ، الىٰ تعطيل اهم القوانين والتشريعات الصادرة من البرلمان لأنها لا تصبح نافذة الا بعد موافقة المندوب السامي عليها . وقد تخاذل قادة الحركة الوطنية بهذه المناسبة ، فلم يدعوا الشعب الى المقاومة ، رغم انتشار موجة عارمة من النقمة والغضب تجاه هذه المسألة .

وفي عام ١٩٣٢ رفض الوطنيون مشروع معاهدة ، قدمها لهم المفوض السامي ، علىٰ أسوأ من المعاهدة التي عقدت بين بريطانيا والعراق ، فما كان منه الا ان عطل المجلس النيابي ، حتىٰ اذا ما أتىٰ عام ١٩٣٦ كانت التظاهرات والاضرابات تعم جميع انحاء البلاد . وكان أطولها وأشدها تأثيرا هو الاضراب الخمسيني الذي استمر خمسين يوما متواصلا ، اضطر الفرنسيون بعده ، للاعتراف بتشكيل وفد وطني ، يسافر الىٰ باريس لمفاوضة الحكومة الفرنسية ، علىٰ تحقيق الاستقلال . فتشكل الوفد في هذا العام ، وعاد بعد بضعة أشهر بمعاهدة ، وصفها احد قادة الكتلة الوطنية ، بقوله «انها معجزة القرن العشرين» . ولا ريب ان وصفه لها بهذه المبالغة ، رغم انها تنطوي علىٰ قيود ثقافية واقتصادية وسياسية لمصلحة فرنسا ، يدل علىٰ منطق الضعف والاعتدال ، المسيطر علىٰ قادة الكتلة الوطنية ، اذ لو انهم يؤمنون بالجماهير وبطاقاتها الثورية ، ويعتمدون النضال الشعبي ، طريقا لتحقيق الاهداف القومية ، لاعتبروا هذه المعاهدة ذات القيود العديدة ، خطوة لا معجزة ، ومرحلة وليست نهاية المطاف او غاية الغايات .

وفي عام ١٩٣٦ بدأت تركيا تطالب بلواء الاسكندرون ، فألحقه بها الفرنسيون بعد عامين ، لكسب ودها في الحرب العالمية الثانية ، كما رفضوا

توقيع معاهدة الاستقلال ، وحلوا المجلس النيابي ، وعطلوا الدستور ، وعينوا حكومة مديرين موالية لهم ، قبل بضعة أشهر من نشوب الحرب العالمية الثانية وبعد ثورة مايس (آيار) في العراق ١٩٤١ ، قرر الحلفاء احتلال سورية ولبنان ، فأحرج الفرنسيون فيهما ، حيث كانوا مع حكومة فيشي ، التي اتت في اعقاب هزيمة فرنسا امام المانيا . وأخيرا اضطروا لاجراء انتخابات نيابية في سورية عام ١٩٤٣ وفاز الوطنيون فيها بشكل كاسح وتشكلت حكومة وطنية . واشتدت معارضة الشعب للحكم الفرنسي ، وامتنع المواطنون عن تموين الجنود الفرنسيين ، وبدأ الوطنيون المتطوعون في الجيش الفرنسي يهربون منه ، فغضب الفرنسيون وضربوا دمشق بالمدفعية في ٢٩ آيار ١٩٤٥ لمدة ٣٦ ساعة . . . وأخيرا تم جلاؤهم في نيسان عام ١٩٤٦ .

ج ـ القوى والاحزاب السياسية :

من باب التنسيق والتوضيح للسمات والملامح الاساسية للاحزاب السياسية التي سبقت ورافقت ظهور البعث ، يمكن تقسيمها الى فئات ثلاث : الاولى ، ذات اتجاه قومي عربي . والثانية ، ذات أفق قطري اقليمي . والثالثة ، أممية ماركسية أو دينية تتخطى حدود القومية العربية . ويندرج تحت الفئة الاولى :

١ ـ الكتلة الوطنية :

لم تكن حزبا بالمعنى المعروف للحزب ، بل مجرد تكتل او تجمع ، ضم ذوي النفوذ والجاه من الاقطاعيين والبورجوازيين ورؤساء العشائر ، وافتقرت الى العقيدة السياسية والتنظيم . وانحصرت اهدافها في المطالبة بالاستقلال والوصول الى الحكم . وكان قادتها

ضعيفي الثقة بأنفسهم وبالشعب ، ولكنهم مع ذلك افادوا من الحماس الشعبي العارم ضد الاستعمار ، واستطاعوا في مرحلة النضال السلبي ، تحريك الجماهير وقيادة التظاهرات الشعبية بكثير من النجاح ، في النصف الثاني من الثلاثينات خاصة ، كما فازوا بانتخابات عام ١٩٤٣ .

وبعد ان وصلوا الى الحكم ، زاد تمسكهم بالكيان القطري ، واقتصر اهتمامهم بهدف الوحدة العربية على الكلام وابداء العواطف الطيبة . اما بالنسبة لهدف الاشتراكية ، فلم يكن غائبا عن أذهانهم حسب ، بل كان مستبعدا ومحاربا ، وكان هذا منسجما مع كونهم منتمين الى طبقة الاقطاع والبورجوازية .

وفي النصف الثاني من الاربعينات ، انكشف ضعفهم وزاد عبثهم بأموال الدولة وبالحريات العامة ، وكثرت الرشوة وسوء الاستعمال ، وتقريب الانصار والمحاسيب ، واستخدام أساليب الخداع والتضليل . وفقدوا معظم الدعم الشعبي ، الذي كان لهم في مرحلة النضال السلبي . ولم تعد الجماهير متحمسة لقيادتهم . وانشق عنهم بعض القياديين في حلب منذ عام ١٩٣٩ ومثل هؤلاء مصلحة التجار وسعوا لرفع قيود التجارة مع العراق ثم شكلوا حزب الشعب في عام ١٩٤٨ وطرح نفسه تنظيما أكثر استقامة وحرصا على مصلحة الدولة ، وأكثر التزاما بالدستور والحياة الديمقراطية ، من الكتلة الوطنية ، التي شكل الباقون فيها ، ما عرف باسم الحزب الوطني ، من دون ان يحدثوا تغييرا اساسيا في اهداف الكتلة ، وأسلوب عملها . هذا وتجدر الاشارة هنا الى انهم مهدوا وشجعوا على قيام الحزب التعاوني الاشتراكي ، من عناصر

موالية لهم ، تستخدم العنف والارهاب ، ضد خصوم السلطة ومعارضيها .

٢ ـ عصبة العمل القومي :

في عام ١٩٣٣ انشق عدد من الكتلة الوطنية ، ومن الصف الثاني فيها ، وشكلوا مع آخرين من أقطار عربية اخرى عصبة العمل القومي ، وما لبثت ان ضمت اعضاء من عدة اقطار ومن فئات اجتماعية وسياسية مرموقة[٢] . وكانت تعادي الشيوعية وتنادي بالوحدة العربية ، وبنظام اقتصادي عادل . ولكنها كانت مفتقرة الى التنظيم المحكم ، والقيادة الواحدة . عارضت الكتلة الوطنية ، وكانت خطوة متقدمة عليها في النواحي التنظيمية والوحدوية والاقتصادية . **غير ان الكتلة الوطنية ، استرضت بعض قادتها ، فانضموا اليها ، ولم تستطع العصبة ان تلعب دورا رئيسيا في الحياة السياسية للبلاد ، وانفرط عقدها** في نهاية الاربعينات .

٣ ـ القوميون العرب :

ظهر منذ الثلاثينات عدد من المثقفين العرب ، المتحمسين للقومية والوحدة العربية وكان بعضهم من ذوي الجاه والنفوذ وقاموا بنشاطات سياسية وفكرية مهمة وكان لبعضهم دور في ثورة رشيد عالي الكيلاني بالعراق ، وفي تشكيل ما عرف فيما بعد باسم حركة «القوميين العرب» التي تركزت اهدافها في «الوحدة والتحرر والثأر» وربما كانت أفكار ساطع الحصري وكتاباته أقوى معبر عن هؤلاء وعن المفهوم التقليدي للقومية العربية في تلك المرحلة .

٤ ـ حزب الشباب :

طرح افكارا تقدمية عربية ، ولكنه من الوجهة العملية ، بقي محصورا في مدينة حماه وريفها ، سنوات عديدة ، ولم يستطع طوال الاربعينات ، ان ينتشر في جميع مناطق القطر السوري ، فضلا عن الاقطار العربية الاخرى . وأصبح من مطلع الخمسينات يحمل اسم «العربي الاشتراكي» وتمكن من تحريك الفلاحين واستقطابهم ، في ريف حماه وتوجيه ضربة كبيرة للاقطاعيين فيها .

اما القوى السياسية ، ذات الاهداف الاقليمية . فقد كانت تتغذى من بعض الدعوات والتيارات الفكرية التي راحت تبرر اوضاع التجزئة في الوطن العربي ، بحذلقات فلسفية احيانا ، وبالعودة الى جوانب من التاريخ القديم احيانا اخرى ، كالدعوة الى الفرعونية في مصر ، او الى الفينيقية في سورية ولبنان . ولكن ، أبرز القوى السياسية الاقليمية المنظمة التي كان لها دور كبير عند ظهور البعث هي :

٥ ـ الحزب السوري القومي الاجتماعي :

تأسس في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٣٢ ونشط في منتصف الثلاثينات ، وعقيدته تجسد النظرة الاقليمية ، وشعارها «سورية للسوريين والسوريون أمة تامة» ، كما ان له افكارا كثيرة غيبية غامضة ، حول الارادة العامة للامة السورية «والارتباط العضوي بين الامة والارض التي تسكن فيها ، وروح المجتمع التي تكونت من تفاعل الامة مع الارض» ، وهو يرفض اعتبار اللغة العربية اساسا للرابطة القومية . ومن يقرأ كتاب «نشوء الامم» لمؤسسه السيد انطون سعادة ، يجد انه

يعتبر أي قطر عربي آخر ، كالجزيرة العربية ، غريبا عن سورية الطبيعية غرابة اي بلد اجنبي عنها . . . ولكن هذا الحزب تبنى العلمانية اي فصل الدين عن الدولة وتأثر بالفاشية ، فاهتم بالمركزية وبالنظام والقوة والتدريب العسكري[٣] .

اما القوى السياسية التي تتخطى اهدافها اطار القومية العربية : فتمثلها فئتان متناقضتان في الاهداف ، هما الشيوعيون والاخوان المسلمون .

٦ ـ الحزب الشيوعي :

تأسس في تشرين الاول عام ١٩٢٤ وكان له وجود فعلي في مطلع الثلاثينات . اتسع انتشاره ونشاطه في سورية ولبنان في الاربعينات . وكان تنظيمه جيدا ، قياسا الى الحركات السياسية التي عاصرته . وعقيدته مستندة الى الماركسية اللينينية ، ومدعومة بتراث فكري اشتراكي ضخم ، ولكن قادته ، لم يكونوا في مستوى عقيدته . تناقضوا كثيرا في مواقفهم . واهملوا قضايا قومية اساسية ، بل وقفوا منها احيانا ، موقف المعارضة ، كقضايا فلسطين والاسكندرون والقومية العربية والوحدة . ولعل اخطر ما في سلوكهم ، انهم في ذلك الحين ، «أيدوا فرنسا التي كانت تستعمر سورية ، وعدة اقطار عربية اخرى ، بحجة الانتصار للديمقراطية على الفاشية ، وأيدوا حقها ، بمناسبة قضية الاسكندرون ، في اكتساب صداقة تركيا ، من أجل صيانة السلم والدفاع عنه»[٤] .

كما أيدوا قرار تقسيم فلسطين . وكثيرا ما تعاونوا مع الحكومات

المثلة للرجعية والبرجوازية ، وقلما كانوا يحركون بصورة جذرية ، القضايا الاساسية للطبقة الكادحة . وراحوا يسفهون المنطلقات القومية والوحدوية لحزب البعث العربي ، معتبرين ان القومية من مخلفات الرجعية والبرجوازية في القرن التاسع عشر ، وانها معادية للانسانية ، وتعني التعصب ، وتقود الى الحروب . ومما يجدر ذكره في هذا المجال ، ما جرى من تفاعل كبير وتبادل في التأثير ، منذ ثلاثين عاما حتى الآن ، بين قوى اليسار القومي ، واليسار الماركسي ، وما حصل من تطور لدى الكثيرين من الشيوعيين بالاتجاه الذي يقترب قليلا او كثيرا من مواقف حزب البعث العربي الاشتراكي .

٧ ـ الاخوان المسلمون :

ظهر نشاط الجمعيات والمنظمات الدينية مع بداية الثلاثينات وأصبح لها أكثر من تنظيم قوي ، كشباب محمد وجمعية العلماء ، ثم ظهرت حركة الاخوان المسلمين . وكانت منطلقات عقيدتهم الدينية ، تجذب لهم جماهيرية واسعة ، وتمكنهم من تحريك التظاهرات واستخدام الشارع في تحقيق اغراضهم . كانوا يتهمون الشيوعيين والبعثيين بالمروق والالحاد ، ويفسرون أسباب التخلف والفساد والضعف ، عند العرب والمسلمين بعدم التمسك بأهداب الدين . يعارضون الافكار القومية والاشتراكية ، ويعتبرونها وافدة غريبة عن جوهر الدين ، ومصلحة المسلمين . وان أنسَ لا أنسَ ، بعض المناقشات التي كنا نحرجهم فيها بقولنا : أيهما أفضل في نظركم ، المسلم التركي ، سالب لواء الاسكندرون ، أم العربي المسيحي المناضل في سبيل وطنه ؟ وكان

الصريح منهم ، والملتزم بعقيدته ، يعلن عن تفضيل المسلم التركي ، بينما يجيب الآخرون بشيء من اللف والدوران .

بعد هذا العرض الموجز للاوضاع والقوى السياسية ، سيتبين لنا فيما بعد ، كيف كان لها بعض التأثير والانعكاسات على افكار الحزب ومسيرته ، من حيث مجابهتها له ، وتصديه لها ، وكشف مواطن الضعف على تجاوزها ، وترسيخ اهداف الثورة العربية المعاصرة ، كما عبر عنها في منطلقاته النظرية والنضالية .

هوامش الفصل الاول

(١) يوم ميسلون ـ ساطع الحصري ، ٢١٤ و٩٢ ـ دار الاتحاد .

(٢) اصبح مركزها بدمشق في نهاية الثلاثينات وكان لها فروع في بغداد وفلسطين واعضاء في مصر والحجاز وبينهم ضباط في الجيش . وورد في دستورها ان القومية العربية فوق كل شيء وقبل كل شيء . وان الامة العربية ستكون رسول المدنية العادلة التي تجمع محاسن المدنيتين المادية والروحية . وان الحركة العربية هي حركة بعث وتحرير وانشاء والحركات القطرية فروع لها .

(٣) [يلاحظ في هذه المرحلة ، ظهور اجنحة في الحزب القومي السوري الاجتماعي ، متاثرة الى حد كبير ، بافكار ومنطلقات حركة الثورة العربية ، من حيث القبول بفكرة الوحدة العربية ، وفق مفاهيم معينة ، وتبني الكفاح الشعبي المسلح لتحرير فلسطين] .

(٤) تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ـ الياس مرقص (دار الطليعة ، ١٩٦٤) ، ص ٢٢٥ .

(٥) انظر قسم الملاحق ص ......

الفصل الثاني

الجانب السياسي والنضالي

لا نريد هنا الاعتماد علىٰ اسلوب سرد الحوادث ، ولا الاستطراد والخوض في التفاصيل ، وانما عرض المواقف السياسية والنضالية البارزة للحزب ، بشكل متسلسل منسق ، ينقل صورة حية عن تلك المواقف ، تجعل القارىء يتمثلها ويعيش احداثها قدر المستطاع ، ويدرك مدىٰ الترابط بين عقيدة الحزب وممارساته ، كما يلمس جوانب التطور ، وأثر الظروف والعوامل المختلفة في مسيرته النضالية .

في مطلع الاربعينات ، لم يكن الحزب الوليد ، سوىٰ افراد قلائل يسهمون في التظاهرات والمناسبات الوطنية ، مع القوىٰ السياسية العاملة في القطر السوري ، ضد السلطات الفرنسية التي كانت تبذل قصارىٰ جهدها ، للابقاء علىٰ كامل سيطرتها في سورية ولبنان ، برغم هزيمة فرنسا امام المانيا .

- ومع بداية عام ١٩٤١ أصدر الحزب ، بل الحزبيون ، بيانا سياسيا بأسم «حركة الاحياء العربي» ، استنكروا فيه ، تراجع السيد شكري القوتلي ، ابرز قادة الكتلة الوطنية ، وذلك بانهائه اضرابا شعبيا ، دام شهرا كاملا في المدن السورية ، احتجاجا علىٰ سياسة التضييق السياسي والاقتصادي التي اتبعتها السلطات الفرنسية ، وأدت الىٰ انخفاض الليرة السورية ، وشح المواد التموينية .

وبهذا البيان ، اراد الحزب ان يطرح نفسه علىٰ الرأي العام ، وأن يعبّر عن أسلوبه الجديد في فهم العمل السياسي ، وهو الصلابة والصمود ، وعدم مهادنة الاستعمار والتراجع امامه . وبالفعل لم يمض وقت طويل علىٰ انهاء الاضراب ، حتىٰ نكث الفرنسيون بمعظم وعودهم للحركة الوطنية ، وأهمها إجراء انتخابات حرة في البلاد ، والغاء الرقابة علىٰ الصحف ، غير ان الحزب استمر بالمعارضة ،

فأصدر في شباط عدة بيانات ، تندد بتخاذل الحكام امام الانتداب الفرنسي .

ومن أبرز الحوادث التي وقعت في آيار ، من ذلك العام ايضا ، ودفعت الحزب الى التحرك والنشاط ، ثورة آيار في العراق ، اذ لم يقف الحزب عند حدود توزيع بيانات التأييد والحث على دعم هذه الثورة ، **بل عمل على تشكيل «حركة نصرة العراق» ، لدفع المواطنين الى التطوع والمشاركة الفعلية فيها**[1] .

وفي هذه المناسبة ، ابرز الحزب فكرة الوحدة ، بتحركه من أجل ثورة عربية في خارج القطر السوري ، وباكثاره من عقد الندوات التي توضح اهمية الوحدة العربية الكبرى ، وتشرح بعض مضامينها . وعلى أثر ذلك ازداد اقبال الطلبة الجامعيين على الندوات التي كان يعقدها مؤسس الحزب . وبعد فشل هذه الثورة ، قرر الانكليز وجماعة فرنسا الحرة (برئاسة ديغول) احتلال سورية ولبنان للحيلولة دون تسلل الالمان اليها ، وقد تم ذلك في حزيران .

وبعدئذ برز التناقض بين الانكليز والفرنسيين على بسط السيطرة والنفوذ في هذين القطرين . وأفادت الحركة الوطنية من هذا التنافس ، حيث اضطر الفرنسيون في أيلول ، للاعلان عن قيام جمهورية في سورية ، لقطع الطريق على فكرة الهلال الخصيب التي طرحها نوري السعيد من جهة ، ولاسترضاء الحركة الوطنية من جهة ثانية . غير انهم اغضبوا الوطنيين ، عندما اعطوا المفوض السامي حق تعيين رئيس الدولة ، وعندما عينوا في هذا المركز ، احد أتباعهم الشيخ تاج الدين الحسني .

● وفي عام ١٩٤٢ ، كانت القضية المركزية ، هي كيفية تكوين حكومة

سورية ، تقبل بها الحركة الوطنية . وفي هذا العام ، استمرت الندوات الحزبية الفكرية والسياسية ، حول المعالم الاساسية ، لاهداف البعث ، رغم تجميد النشاط التنظيمي والسياسي الى حد كبير . ثم استؤنف هذا النشاط في نهاية العام ، وبعد ان استقال الاستاذان عفلق والبيطار وتفرغا للعمل السياسي والحزبي[٢] .

● اما في عام ١٩٤٣ ، فقد اشتد الصراع بين الحركة الوطنية والفرنسيين ، الذين كانوا يمانعون في اجراء انتخابات حرة ، وتمكين سورية ولبنان من الحصول على الاستقلال . ولكنهم أخيرا اضطروا في آيار للاعلان عن الموافقة على اجراء الانتخابات .

وفي حزيران اجتمع عدد من الوطنين والسياسيين لبحث الموقف ، وكان بينهم الاستاذان عفلق والبيطار . وبعد الاجتماع أدليا بتصريح يؤيدان فيه شكري القوتلي ، ويمدحان قيادته واستقامته . وعلى أثر ذلك ، سرت بين البعثيين وأنصارهم ، موجة من الحيرة والاستغراب لهذا الموقف ، حيث رأى فيه بعضهم ، ظاهرة تراجع او تعاون ، مع اولئك الذين كانوا موضع نقد وهجوم شديدين من البعث ، قبل هذا التاريخ ، بل ربما رأى بعضهم الآخر ، ان وراء هذا التأييد ، رغبة بالوصول الى الوزارة او المجلس النيابي . ولهذا أصدر الاستاذان ، بيانا خاصا لتوضيح دوافع ذلك التصريح ومبرراته ، وتتلخص في رفض الحياد والتفرج والانقسام ، وفي ضرورة توحيد كل القوى الوطنية لمواجهة الظروف الدقيقة التي تمر بها البلاد . كما تضمن البيان اعترافا باخلاص القوتلي وباستقامته ونزاهته ، مع الاشارة الى ان تأييد حركة البعث له ، سيساعده على «تصفية الحركة السياسية التقليدية من الاشخاص الفاسدين

والانتهازيين ، ومن الاساليب البالية» . وإشارة اخرى الى ان التأييد لا يمنع الشعب من ممارسة الضغط ، وتصحيح الاخطاء كلما عرضت . وحرص البيان على اقناع البعثيين بضرورة الاطمئنان للمستقبل ، لأن «لهما من ماضيهما وحاضرهما ، ما يدعو لهذا الاطمئنان» ، وانهما لن يتساهلا في المبادىء قيد شعرة ، وسيظلان بعيدين عن الحكم والوظائف زمنا طويلا . وان التعاون مع الصف الوطني ، لن «يكون الا على أساس الاحتفاظ باستقلال شخصية الشباب القومي ، الذي يمثلانه . وان المطاليب الوطنية هي الحد الادنى للمطاليب القومية»[٣] .

ان اهمية هذا التصريح والتفسيرات التي أعطيت له ، تحملنا على الوقوف عندها ، كي ندقق في مغزاها ونتائجها ، ونتعرف على مرحلة مبكرة من حياة الحزب ، ان لم تكن انعطافا ومنطلقا جديدا في مسيرته ، فإن فيها سلوكا لأساليب جديدة ، في النضال والعمل السياسي ، لم تكن مألوفة لدى البعثيين الاوائل ، لانهم كانوا ، قبل ذلك التاريخ ، مشبعين بفكرة المعارضة العنيدة ، للفئات الحاكمة وللاوضاع السياسية القائمة من دون أية مهادنة او تساهل ، باعتبار ان «طريقهم طويلة» وان «جيلهم سيبقى زمنا طويلا في دور النضال» وانهم يحملون رسالة لا سياسة[٤] . أجل كان هذا المنطق يسيطر على فهمهم للعمل السياسي ، واذا بقيادتهم تصدر تصريحا ، مؤيدا ومادحا لشكري القوتلي ، وداعيا للتعاون مع الحركة الوطنية ، بشكل لم يسبق ان اقدمت على مثله بالماضي ، رغم ظهور بعض الظروف المماثلة لتلك التي قادت الى التصريح المذكور . ولو كان عدد البعثيين كبيرا ، ولو لم تكن ثقتهم بقيادتهم متينة وعالية ،

لحدث تصدع وانشقاق في صفوفهم . غير ان المهم هنا ، ان القيادة استطاعت ان توضح وتقر المنطلقات التالية في العمل السياسي :

١ ـ ان المثالية التي يجب أن يتميز بها البعثيون ، يجب أن لا تكون خيالية ، تتجاهل الواقع ، بل عملية تدخل الواقع لتسيره وتغيره[٥] وهكذا بدأ بوضوح يبرز أسلوب التكتيك والمرونة والمسايرة لمتطلبات الظروف الواقعية .

٢ ـ ان المشاركة بالانتخابات النيابية ، لا تتناقض مع العقيدة والتشدد في المبادىء ، بل انها وسيلة فعالة من وسائل النضال لتحقيق اهداف البعث[٦] .

٣ ـ جواز المهادنة لبعض القوى التي يحاربها الحزب ، بل والدخول معها في جبهة واحدة ، اذا كانت الظروف تستوجب ذلك . وقد أخذ الحزب فيما بعد ، يطبق هذا المبدأ كلما استدعت الحاجة .

٤ ـ ان عوامل التأثير المتبادل ، بين القيادة والقاعدة في الحزب ، ازدادت قوة ووضوحا ، بعد هذا التصريح .

ولئن استطاعت القيادة اقناع القاعدة الصغيرة ، بوجهة نظرها ، وضرورة الفهم الحي للواقع وتغيراته ، وتجريد المثالية من مفهومها الخيالي النظري ، وانزالها الى صميم الحياة العملية ، فإن هذه القيادة ، بدأت تحسب حسابا لقواعد الحزب وضغوطها ، ولم تعد تتجه الا نادرا نحو تأييد افراد وامتداحهم ، بل اصبحت تلتقي مع القوى الاخرى الوطنية ضمن اهداف وبرامج مرحلية معينة ، ولها مبرراتها الواضحة .

ولعل نزول الاستاذ ميشيل عفلق مستقلا في المعركة الانتخابية ، في تموز من عام ١٩٤٣ ، ثم بيانه الانتخابي بالاسلوب الذي ركز فيه على شرح مبادىء البعث واهدافه الاساسية ، من دون مراعاة وسائل الدعاية

الانتخابية ، والسبل المساعدة على الفوز ، وكذلك ما ورد فيه من القول «بأننا لن ندخل الحكم عاجلا ، وفي صف النضال سنبقى طويلا» نقول لعل هذا دليل لا يكشف حرص القيادة على استمرار ثقة القاعدة بها فحسب ، بل يكشف ايضا مدى تأثير هذه على تلك .

لقد خاض الحزب لأول مرة معركة الانتخابات النيابية ، في شخص الاستاذ ميشيل عفلق ولم يكن الهدف من خوضها ، الوصول الى النيابة ، وانما وسيلة احتكاك ونشاط بين الجماهير ، ولطرح اهداف الحزب ومبادئه ، على أوسع نطاق شعبي ممكن . والواقع ان البيان الانتخابي ، لم يكن بيانا انتخابيا عاديا ، يدغدغ عواطف الناخبين ، ويعد بتحقيق مطالبهم الآنية والمرحلية والمحلية ، كما كان الامر في البيانات الانتخابية لجميع المرشحين . وانما كان بيانا ، يوضح الاهداف السياسية للحزب ، والاساليب الجديدة التي يريد السير على أساسها . وهذه المناسبة كانت من أبرز المناسبات التي تحرك فيها الحزب لطرح نفسه ، وشرح مبادئه على الصعيد الشعبي . ومن قراءتنا لهذا البيان(١) ، نجد من حيث الاهداف والمباديء ، ما يلي :

١ ـ التوكيد بشيء من المثالية ، على الفكرة القومية الحية ، الممثلة للروح العربية ، والبعيدة عن اللفظية والاصطناع .
٢ ـ التوكيد على الشخصية العربية ، وروح الامة وماضيها ، وعلى وجوب حمايتها من غزو الثقافات والفلسفات الغربية ، والتي تطمس شخصيتها وتعرقل وحدتها .
٣ ـ الا تبقى الثقافة مجردة ، بل وسيلةلتقويم الاخلاق وتنشئة المناضلين .
٤ ـ شجب الطائفية والاقليمية والنعرات الضيقة المحلية .

٥ ـ شجب الشيوعية الممثلة للمادية ، والتقدم المصطنع .
٦ ـ محاولة التوفيق والمصالحة بين القومية والدين او بين العروبة والاسلام[٧] .
٧ ـ التوكيد على اهمية الحرية وضرورتها ، من أجل الانبعاث والتقدم ، ولانها جوهر العروبة ، ولان الامة الحرة تتكون من افراد احرار .
٨ ـ الاهتمام بوحدة الاقطار العربية على أساس الفكرة التي يمثلها الشعار «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» . هذا ومن الجدير بالذكر انه لم يتطرق في هذا البيان الى الناحية الاشتراكية .

اما من حيث طبيعة العمل وأسلوبه ، فنجد ما يلي :

١ ـ نبذ الاسلوب الماكيافيلي السائد بين السياسيين ، وتقرير الاسلوب الاخلاقي في العمل السياسي ، برفضه منطق «الغاية تبرر الواسطة» .
٢ ـ يقرر ان الفساد عام وشامل ، وان الثقة مفقودة بالسياسة السائدة الفاسدة ، المفتقرة الى التنظيم والعقيدة ، وان الآلام عميقة ، والامراض مستفحلة ، لا تنفع معها حيل السياسة ، وبراعة السياسيين ، بل تتطلب جيلا عربيا جديدا واعيا منظما مناضلا مؤمنا برسالة أمته .
٣ ـ يقرر التضحية بالفرص العارضة ، وبالنجاح السريع في سبيل المستقبل المضمون ، ويؤكد ضرورة العمل بالنفَس الطويل . فيرى ان المهمة «شق الطريق لا تعبيدها ، رفع الاشواك لا زرع الرياحين ، غرس البذور الخالدة ، لا قطف الثمار اليانعة» . ومن ثم يقرر عدم الاستعجال في الوصول الى الحكم ، بل البقاء طويلا في صف النضال .

ومن الاحداث القومية التي وقعت في تشرين الثاني من عام ١٩٤٣ ، ودفعت الحزب الى الحركة والنشاط ، اعتقال الفرنسيين في لبنان لرئيس الدولة ومعظم الوزراء ، والقضاء على المجلس النيابي ، علىٰ أثر محاولة لتعديل الدستور بما يعزز استقلال البلاد(٧) . فأصدر الحزب بيانا بهذه المناسبة ، شجب فيه العدوان الفرنسي علىٰ استقلال لبنان ، وحذر الشعب والمسؤولين في سورية من مغبة الاستمرار في اسلوب المفاوضات العقيمة ، مع الفرنسيين الذين يعتمدون دوما علىٰ المخادعة وكسب الوقت . وفضح الموقف المتخاذل لحكام سورية ولجوءهم لسياسة التريث والوساطة . ودعا المواطنين ، لاعتبار قضية لبنان قضية عربية عامة ، وقضية سورية بوجه خاص ، تستوجب الدعم والتأييد الفعال علىٰ صعيد الشعب والحكومة والمجلس النيابي . ومن هذا البيان نلاحظ ، ان الحزب بمبادرته العملية لنصرة لبنان ، اراد ان يجسد ايمانه بفكرة الوحدة العربية ، وأن يدفع المواطنين الىٰ التحسس والمشاركة بالقضايا القومية . كما نلاحظ انه يهاجم السياسة الرخوة الضعيفة المتخاذلة امام الاستعمار ، والتي كان يتبعها الحكام ، الا انه يتضمن في الوقت نفسه ، بقية من الاساليب التقليدية التي كانت متبعة في تلك المرحلة ، كتوجيه برقيات احتجاج الىٰ السفراء ، وحث المواطنين علىٰ الاتصال بالنواب والحكومة ، بغية الاهتمام بقضية لبنان(٨) ، في حين ان هذا الاسلوب الذي يعول على برلمانات وحكومات رجعية متخاذلة ، او جامعة عربية ، يستمر في مرحلة الاربعينات ، ولكنه يتقلص بالتدريج ليحل محله ، الاسلوب الذي يقتصر علىٰ مخاطبة الجماهير ، والتوجه الىٰ القوى المناضلة ، لتحقيق الاهداف المرحلية التي تشتمل عليها بياناته ونشراته .

لئن كان اخفاق الاستاذ ميشيل عفلق في انتخابات عام ١٩٤٣ متوقعا ، لضعف الحزب في تلك الفترة ، وللمقاومة الشديدة التي تعرض لها من الحكام والفئات الرجعية واليسار اللاقومي ، فان مرحلة ما بعد هذه الانتخابات ، جعلته يركز اهتمامه على توضيح افكار الحزب ومبادئه . بمعنى إن نشاطه السياسي قد تقلص بعض الشيء ، لتأخذ الناحية الفكرية مكان الصدارة من نشاطه .

ولو رجعنا الى المقالات والاحاديث عقب تلك الانتخابات ، لوجدناها تركز على المؤهلات والشروط النضالية والفكرية والنفسية ، التي يجب ان يتميز بها البعثيون ، ممثلو الجيل العربي الجديد . كما تركز أيضا على الفروق النظرية والعملية ، بين البعث والشيوعية ، مع هجوم عنيف على مواقف الشيوعيين واهدافهم[٩] .

اما بالنسبة الى الكتلة الوطنية الحاكمة ، فقد استمر الحزب بمعارضتها ، وفضح سياستها الرجعية ، وخاصة ان ضعفها وسياستها المتخاذلة ، امام السلطات الفرنسية ، وكذلك حالات الرشوة والفساد والمحسوبية ، كانت في تصاعد مستمر ، مما أدى بدوره ، الى تصاعد النقمة الشعبية وقيام التظاهرات ، التي كان الطلاب يبادرون بتحريكها ، ولا تنتهي غالبا الا بتراجع الحكومة او سقوطها . غير ان الاكثار من تغيير الوزارات وتبديل الوزراء ، بغية امتصاص النقمة ، لم يجد الكتلة الوطنية نفعا ، حيث تدنت هيبتها ، واضطرت لاستخدام القمع والارهاب ضد المعارضة التي اشتد ساعدها ، وكان حزب البعث أكثرها جرأة وصلابة .

● **ومع حلول عام ١٩٤٤ ، بدأ الحزب يصعّد اهتمامه بقضية فلسطين . فعندما اعلن الحزبان الديمقراطي والجمهوري في**

اميركا ، قرارا بفتح فلسطين للهجرة اليهودية ، بادر الاستاذ عفلق في آب من هذا العام ، بارسال كتاب الىٰ المعتمد السياسي الاميركي في سورية ، محتجا باسم الحزب ، علىٰ ذلك القرار ، وطالبا تبليغ الاحتجاج الىٰ المراجع المسؤولة . هذا ومن الملاحظ ان مضمون الكتاب ، يتميز بلغة المنطق ، والتهديد بأن هذه السياسة ستسيء الىٰ الصداقة بين اميركا والعرب . ومن الجدير بالذكر ، ان هذا الاسلوب ، كان مألوفا في تلك المرحلة ، كما سبق ان أشرنا ، بالاضافة الىٰ ان اميركا ، حتى ذلك التاريخ ، لم تكن قد اتخذت مواقف عدائية صارخة ، ضد القضايا العربية ، مثل ذلك القرار المذكور . وبعد سبعة أشهر يدلي الرئيس روزفلت بتصريح يؤيد فيه هجرة اليهود الىٰ فلسطين ، فيوجه الحزب كتابا آخر مماثلا الى وزير اميركا المفوض بدمشق . ويقوم الطلاب بتظاهرات الاحتجاج علىٰ ذلك التصريح .

● اما في عام ١٩٤٥ ، فقد كانت مسألة الحرية ، هي القضية المركزية في نضال الحزب ، حيث اصطدم من أجلها مع السلطة الحاكمة ، وتعرض قادته في سبيلها ، للاعتقال والملاحقة . كما نشط عند وقوع العدوان الفرنسي علىٰ دمشق والمدن السورية ، ونظم ما عرف باسم «فرق الجهاد» للدفاع عن حرية البلاد واستقلالها . وظل يهتم بقضية فلسطين بصورة عادية ، في حين تصاعد اهتمامه بعض الشيء بقضية الوحدة .

ففي شباط من ذلك العام ، اصدر الحزب بيانا عنيفا ، ضد تخاذل الحكام تجاه استلام الجيش ، وامعانهم في سياسة التضليل ، والاستغلال ، والضغط علىٰ الحريات العامة . وطالب باقصاء

الاشخاص الذين مثلوا السياسة السابقة وفشلوا . كما طالب بحكومة «قومية دستورية غير حزبية» اي حكومة لا تمثل حزب الكتلة الوطنية ، بل قوى الشعب الحقيقية ، وتؤمن بالدستور وبالحرية ، وتقلع عن المفاوضات العقيمة ، وتستلم الجيش ، وما بقي من الصلاحيات ، وتعمل على تعريب هذه القضية الخطيرة ، اي جعل مسألة استلام الجيش كأداة فعلية ، لممارسة الاستقلال ، قضية عربية . وعلى أثر هذا البيان ، اعتقل الاستاذ البيطار لمدة اسبوع . وفي الثامن من آذار ، وهو ذكرى استقلال سورية ، اصدر الحزب بيانا آخر ، اعنف وأقوى ، في أسلوبه ومحتواه ، وقد تضمن :

١ ـ فضح فساد الحكم وتحايل الحكام ، بفرض زعامة شكري القوتلي ، وتقوية سلطته باتجاه الديكتاتورية ، ليتسنى للكتلة الوطنية تحقيق المزيد من السيطرة والاستغلال .

٢ ـ فضح تواطؤ القوتلي ، مع سعود وفاروق ، بعد زيارته للرياض والقاهرة ، ورفضه أي مشروع وحدوي ممكن ، بحجة المحافظة على الاستقلال والنظام الجمهوري تارة ، او بحجة العمل للوحدة الشاملة تارة اخرى .

٣ ـ مهاجمة استعداده لعقد معاهدة مع فرنسا ، بناء على نصيحة تشرشل له ، عند اجتماعه به في القاهرة .

وعلى أثر توزيع هذا البيان ، نفي موقّعه ، الاستاذ البيطار الى قرية الميادين ، في أقصى الشمال الشرقي من سورية ، مما أثار الحزب ودفعه للقيام بتظاهرة ضخمة ، احتجاجا على ذلك . ومازلت أذكر مخاوف بعض الرفاق ، وتقديراتهم لاحتمالات فشل التظاهرة ، بسبب من انها لا تستهدف اغراضا شعبية عامة ، بل مجرد الاحتجاج على اعتقال احد

قادة الحزب . وبعد أخذ ورد ، رجحت كفة المؤيدين لها مهما كانت النتائج ، شريطة ان يبذل البعثيون أقصىٰ ما لديهم من جهد .

ولقد كانت بالفعل ، من أقوىٰ التظاهرات التي شهدتها دمشق ، وكان المتظاهرون ينادون باسقاط «الزعمريس» اي الزعيم الرئيس شكري القوتلي ، وطالبوا باحترام الدستور والمحافظة علىٰ الحريات العامة . **وكان لنجاح هذه التظاهرة أكثر من دلالة . ولعل اهمها ان الحزب ، بلغ من القوة والتنظيم ، في صفوف الطلبة ، ما جعله قادرا على تحريك التظاهرات ، لأي هدف يريد** . والثانية ان النقمة علىٰ تردي الاوضاع السياسية ، بلغت من العمق والاتساع ، بحيث ان اية قوة منظمة ، وأي نشاط معارض للحكم ، يلقيان الاستجابة والتأييد من المواطنين .

ولم يقف الحزب عند حدود التظاهر ، بل مارس معارضته للحكم بأشكال اخرى ، فأرسل برقيات الاحتجاج العنيفة الىٰ المسؤولين ، وتابع اصدار البيانات التي تفضح عقليتهم الرجعية . ففي البيان الصادر بتاريخ ١٤ آذار ، **نجد تعليلا جديدا** ، ورد بصورة عابرة ، عن أسباب تخاذل الحكام وتراجعهم ، **وذلك بربط هذه الاسباب ، بأوضاعهم الطبقية والاجتماعية والاقتصادية والعائلية** . كما انه يقرر حقيقة سياسية هي «ان البلاد التي لايزال فيها أقل أثر لسلطة الاجنبي ، لا يمكن ان تكون القيادة في الحكم ، وأن يكون مع الحكم وطنية صحيحة ، ولن تكون الزعامة الا في صف الشعب[١٠] .

بقي علينا من عام ١٩٤٥ ، ان نشير الىٰ مواقف الحزب من الجامعة العربية ، ومن الحزب الشيوعي السوري ، ومن العدوان الفرنسي علىٰ دمشق والمدن السورية .

ـ فبالنسبة الى الجامعة العربية ، تصدى الحزب في نيسان لفضح ميثاقها ، وأسسه الواهية ، التي كرست واقع التجزئة ، وأهملت اقطار المغرب العربي ، وتجاهلت قضية فلسطين ، واغتصاب لواء الاسكندرون ، «وبرهنت عن نقص في وضوح الفكرة العربية من نفوس الرجال الرسميين وأذهانهم» ، وقال : «ان الضرر يقوم في ايهام الشعب العربي ، بأنها الوحدة الحقيقية»[11] .

وفي بيان شامل عن الاوضاع السياسية في الوطن العربي ، أصدره الحزب في كانون الاول ، كان رأيه بالجامعة العربية ، أقل سلبية ، ولكنه مع ذلك ؛ أشار الى عاملين أساسيين في ضعفها :

الأول : كونها نشأت على أثر تصريح لوزير الخارجية البريطانية ، وتشكلت من حكومات ، يرتبط أكثرها مع بريطانيا بمعاهدات ، تقيد حريتها في العمل لمصلحة العرب القومية .

الثاني : كون الممثلين فيها من الفئات الحاكمة ، التي لا تتجاوب مع اماني الشعب العربي وطموحه الى الوحدة . ثم ينتهي باقتراح يدعو الى تشكيل جامعة عربية شعبية ، لا تخضع للسياسة الاجنبية ، ولأقليمية ممثلي الحكومات وأنانيتهم الضيقة .

ـ أما بالنسبة الى الشيوعيين ، في القطر السوري ، فقد راحوا يدافعون عن الحلفاء ، ويتعاونون مع الحكم المحلي الرجعي ، بحجة ان المعركة الاساسية ، هي معركة الديمقراطية ضد الفاشية والنازية .

وكانوا في التظاهرات ، يرفعون صور ديغول وستالين ، ويهاجمون معارضيهم ، وفي مقدمتهم اعضاء حزب البعث . وفي الاول من آيار ، الذي اسماه الحزب عيد العامل العربي ، أقام الشيوعيون والبعثيون ،

الاحتفالات بهذه المناسبة(*) . كما أعقبها قيام سلسلة من التظاهرات والمصادمات الدموية التي استخدم فيها الرصاص والمدى . وعندئذ أصدر الحزب بيانا عنيفا في ١١ آيار بعنوان «الحزب الشيوعي دعامة الشعوبية ودعاية الاجنبي»[١٢] . وكان هذا البيان ، بألفاظه وعباراته الحدية المتطرفة ، تعبيرا عن الانفعالات الناجمة عن تلك المصادمات . هذا وسنوضح في الفصل التالي ، ظروف ومبررات الخصومة السياسية والفكرية ، بين حزب البعث ، والحزب الشيوعي السوري في تلك المرحلة .

ـ **أما عن العدوان الفرنسي** ، فإن فرنسا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عمدت الى سياسة المماطلة والتسويف ، في تحقيق رغبات الحركة الوطنية في القطر السوري . ورفضت تسليم الجيش ، واعطاء الصلاحيات الكاملة ، للسلطة الوطنية ، ما لم تعقد معها معاهدة ، تضمن لها مصالحها الثقافية والاقتصادية والعسكرية . وكان الحكام كعادتهم ، في موقف ضعيف متخاذل . على ان الحزب عندما لمس منهم هذا الموقف ، ومن فرنسا ، نيات المماطلة والغدر ، وكذلك أسلوب الاستفزاز ، واثارة الفتن والقلاقل في البلاد ، تمهيدا لممارسة المزيد من الضغط والارهاب ، وأملا في توطيد سيطرتها ، أو فرض المعاهدة التي تريدها . . .

نقول ان الحزب ، عندما لمس ذلك ، بادر في ١٦ آيار لاصدار بيان يوضح حقيقة الاوضاع وضرورة الوقوف بجرأة وحزم ، في وجه فرنسا ، وقطع المفاوضات العقيمة معها ، لأن «الاستقلال يؤخذ ولا

(*) (اقام البعثيون احتفالهم في سينما عائدة بالاس بساحة الحجاز ومنها انطلقوا بتظاهراتهم .

يعطي» ثم دعا لاضراب شامل ، عند قدوم ممثل فرنسا الجديد الى سورية ، كتعبير عن رفض الشعب لأية مساومة على الاستقلال والحرية . ثم تعاقبت الاحداث بسرعة ، فاضطرت الحكومة الوطنية ، تجاه استفزاز السلطة الفرنسية وتعنتها ، الى ان تعلن موقف الرفض والمجابهة . وعلى أثر ذلك أصدر الحزب ، في ٢٠ آيار ، بيانا يعلن فيه ، «تأييده للحكومة مادامت في نضالها الوطني ضد عدوان الاجنبي» . كما بدأ بتنظيم «فرق الجهاد الوطني» لتعبئة قوى الشعب وتنظيمها ، للدفاع عن حرية سورية واستقلالها . وتتألف من فرق للمقاومة وأخرى للمحافظة على الامن ، ثم فرق للاسعاف . وعدد كل فرقة ٢٥ شخصا برئاسة عريف . وقد مارست هذه الفرق عملها في أثناء العدوان الفرنسي على دمشق والمدن الاخرى في ٢٩ آيار .

هكذا نلاحظ ان الحزب ، مارس لأول مرة ، أسلوب الكفاح الشعبي المسلح ، بتأثير الظروف التي استدعت ذلك وقادت اليه . حتى اذا ما انتهت ، ظروف العدوان الفرنسي ، عاد الحزب الى سيرته الاولى في المعارضة ، ضمن الاساليب الديمقراطية المعروفة .

وبعد ثلاثة اعوام ، أي في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، والتي تطوع فيها كثير من المواطنين العرب بعلم الانظمة ورضاها ، بادر الحزب ايضا للمشاركة فيها ، وممارسة الكفاح المسلح مرة ثانية . ولكن ما ان انتهت هذه الحرب حتى رجع ثانية الى أساليب الديمقراطية السابقة ، مع مضاعفة الاهتمام بقضية فلسطين ، من خلال تلك الاساليب . ويبدو ان الحزب رغم ممارسته الكفاح المسلح في المناسبتين المذكورتين ، واشارته في بياناته مرارا الى ان تحرير فلسطين لن يتم عن طريق

الحكومات بل بالعمل الشعبي ، ولن يكون بغير الدم والحديد ، فانه لم يجعل من ذلك ستراتيجية ثابتة له ، لضعف امكاناته ، ولظروف المرحلة التي لا تسمح للاحزاب بتشكيلات عسكرية . ولكنه مع ذلك ، تأخر بعض الشيء في هذا الميدان لاوضاع ذاتية صعبة عندما اصبح بالامكان تشكيل منظمات فدائية عقب مؤتمر القمة العربي الاول . وهكذا لم تظهر جبهة التحرير العربية المرتبطة به الا في اواخر الستينات ، وبعد قيام فتح ومنظمات فدائية اخرى .

في الشهر الاخير من عام ١٩٤٥ ، اصدر الحزب بيانا سياسيا شاملا ، عالج فيه أهم مشاكل الاقطار العربية في الوطن العربي كله . وبما انه يلقي الضوء ، على اهم القضايا العربية وموقف الحزب منها في تلك المرحلة ، فمن المفيد ان نشير الى الملاحظات التالية :

١ ـ كان الحزب ، بين فترة واخرى ، يقوم ، بشيء من المراجعة لمواقفه النضالية ، فيفطن الى انغماسه اكثر مما يلزم ، في المشاكل القطرية . او انه بتعبير آخر ، كان يتذكر ضرورة الاهتمام بالقضايا العربية ، فيصدر البيانات ذات الطابع القومي ، التي تعالج «القضايا العربية ككل لا يتجزأ» . وفي هذا البيان يؤكد «ان مصلحة الاقطار العربية واحدة ، فلا ينظر الى دولة اجنبية في قطر عربي ، نظرة صداقة ، اذا كانت هذه الدولة تسيء الى قطر عربي آخر»[١٣] .

١ ـ ان الحزب يبدي رأيه ، لأول مرة في مشاريع وحدوية محددة ، ويقترح بعضها ضمن شروط عامة ، ومن دون ان يضع لها تخطيطا معينا ، او ستراتيجية نضالية . فالحزب مع وحدة وادي النيل ، ومع استقلال المحميات وامارات الخليج العربي ، «واتحادها بأقطار

عربية اخرى» وضد فرنسا بعنف ، «لموقفها العدائي من الجامعة العربية ، وعزلها عرب المغرب عن الانضمام الى تلك الجامعة» .

كما يرى الحزب ، ان لبنان جزء طبيعي من سورية . وقد طالب بتحقيق وحدة سورية الطبيعية المؤلفة من سورية ولبنان وفلسطين والاردن والعراق . وذكر رأيه في ما عرف بمشروع «سورية الكبرى» فوافق عليه ، على أساس الضمانات التالية : المحافظة على عروبة فلسطين ، وعلى النظام الجمهوري الضامن لتطور العرب ، وتحقيق امكاناتهم ، وان يتم المشروع برضى الشعب ، وان يتفق مع المصلحة العربية العليا . ثم انتهى الى القول : «ان الخطوة الجدية الحاسمة في طريق هذه الوحدة ، هي توحيد سورية والعراق»[١٣] .

٣ - في مناقشته لموقف الحلفاء وانكلترا ، من قضية فلسطين والقضايا العربية ، يحمل البيان طابع الاعتدال والمخاطبة بالمنطق ، والتلويح بالاساءة الى الصداقة العربية مع دول الحلفاء . وربما نستطيع القول ان ظروف تلك المرحلة ومؤثراتها من حيث ضعف قوة الحزب ، وتأثره ببعض الاساليب المعروفة عن الحركة الوطنية من جهة ، ثم رغبته في الافادة من التنافس بين دول الغرب ، وعدم دفعها كلها للتألب ضد العرب من جهة ثانية ، كانت من العوامل الدافعة الى الاعتدال وعدم استخدام اسلوب العنف الحدي ، غير الواثق بعدالة الدول الغربية . ومما يؤكد صحة هذا الذي نذهب اليه ، هو ان الحزب بعد اسبوعين من هذا البيان ، يصدر بيانا آخر يوضح رأيه في الاتفاق البريطاني الفرنسي ، ويستخدم اسلوبا وحديا في مهاجمة كل من بريطانيا وفرنسا «اللتين لاتزالان . . .

محتفظتين بعقليتهما القديمة ماضيتين في تصميمهما العدواني على امتهان كرامة الشعب العربي ، والاستخفاف بحقوقه» . ثم ينتهي الى القول ان «الحزب اذ يسجل على بريطانيا وفرنسا غدرهما الجديد بالعرب ، في قضية سورية ولبنان ، يهيب بالشعب العربي في جميع اقطاره ، ان يجيب على هذا الغدر بما يستحق من المقاومة والكفاح[15] .

وفي برقية ارسلها الحزب ، في نيسان ، الى الجامعة العربية والحكومات العربية ، يحتج فيها على المعاهدة الاردنية البريطانية ، ويستنكر تهنئة الحكام العرب للحكومة الاردنية من أجل ذلك ، نجد الحزب «يدعو الشعب العربي كافة الى الحذر ومواصلة النضال ضد المستعمر وعملائه»[16] . وهكذا تزول لهجة الاعتدال ، ويبدأ التوجه الى الشعب ، والتركيز على نضاله .

● وبانتقالنا الى نضال الحزب في عام ١٩٤٦ ، نجده في النصف الاول منه ، يعطي القضايا القومية ، حيزا لا بأس به من العناية والاهتمام حيث يغتنم فرصة التظاهرات الشعبية في مصر لتحقيق الاستقلال التام ، وجلاء القوات البريطانية عنها ، فيصدر بيانا بهذه المناسبة ، يهاجم فيها السياسة البريطانية ، ويؤكد على انها لن تجابه عداء مصر وحدها ، بل عداء الامة العربية ونضالها الاجماعي . ويشير في الوقت نفسه ، الى ما تقترفه فرنسا في سورية ولبنان وأقطار المغرب العربي . وعندما اعلن عن المعاهدة الاردنية البريطانية ، بادر الحزب لتحريك التظاهرات الشعبية ، وتوعية المواطنين على ما فيها من «تعد صريح على حق الشعب العربي في الاستقلال والوحدة ، وحق تقرير المصير» وعلى انها «تلغي استقلال الاردن ، وتهدد

استقلال الاقطار العربية المحيطة به . . وتعرقل سير الوحدة ، وتضمن للصهيونية تحقيق اغراضها في فلسطين[17] . وبمناسبة قدوم لجنة انكليزية ـ اميركية ، الى فلسطين ، واقتراحها ادخال مئة الف مهاجر يهودي جديد ، ورفضها اقامة حكومة عربية في فلسطين ، دعا الحزب لاضراب عام في الثالث من آيار ، وتوسيع النضال العربي وتأجيجه ، الى ان «يذعن الاستعمار البريطاني الاميركي للحق ، وتبوء الصهيونية بالخذلان[18] .

ولكن الحزب ، في النصف الثاني من ذلك العام ، يعود ليضع ثقله ، وجل نشاطاته وجهوده ، دفاعا عن الحرية ، ومنعا للفئة الحاكمة في القطر السوري ، من فرض سيطرتها وتسلطها ، واستخفافها بالدستور والحريات العامة . وقد تجلىٰ ذلك في مقاومته لما عرف بالمرسوم التشريعي رقم ٥٠ ، ثم في مطالبته بتعديل قانون الانتخاب القديم ، وجعل الاقتراع علىٰ درجة واحدة ، بدلا من درجتين .

والحق ان ذلك المرسوم الذي عرف باسم «ملاك وزارة الداخلية» ، كان يعطي للوزير حق حل الجمعيات والاحزاب ، واغلاق المطابع والصحف ، والغاء امتيازاتها ، ونفي غير المرغوب بهم من المواطنين . ولهذا لم يكتف الحزب في مقاومته ، بتوزيع البيانات وتدبيج المقالات الموضحة لأخطاره ، بل سعىٰ لاقامة جبهة مع بعض القوى والشخصيات السياسية بأسم «جبهة الدفاع عن الدستور والحريات العامة» ، ونظم التظاهرات الشعبية ، وركز مطالب المرحلة في :

١ ـ قيام حكومة تحافظ على الدستور .

٢ ـ رفع القيود عن الصحافة .
٣ ـ اتاحة حق الاجتماع وتشكيل الاحزاب .
٤ ـ اجراء انتخابات حرة على درجة واحدة ، مع توفير الضمانات الكافية لنزاهتها .

وبعد نضال مركز ، وتظاهرات صاخبة ، ذهب فيها العديد من القتلىٰ والجرحىٰ ، اصدرت لجنة الدستور في المجلس النيابي ، قرارا يؤكد بالفعل مخالفة ذلك المرسوم لروح الدستور ونصوصه ، وعندئذ تراجعت الحكومة ، فألغته وصرفت النظر عنه .

بعد انتصار الحزب بهذه المعركة ، التي تحمل فيها العبء الاكبر ، انتقل الى معركة اخرى ضد القانون الانتخابي الرجعي ، الذي يستند الى الاعتبارات الطائفية . ويجري الاقتراع بموجبه ، على درجتين ، بحيث يسهل على السلطة ، تزييف ارادة المواطنين ، بشرائها اصوات الناخبين الثانويين بالمال والاغراء . وتأمين مصالحهم الخاصة ، مادام عددهم قليلا ومعروفا .

وقد كان للحزب دور أساس وفعال ، في تعديل قانون الانتخابات في منتصف عام ١٩٤٧ ، وجعله على درجة واحدة واعطاء المرأة حق الانتخاب ، ومن ثم ممارسة التصويت في غرفة سرية بعد سنوات . وذلك بالرغم من التعطيل المتكرر لصحيفة «البعث» وممارسة شتىٰ ضروب الضغط والمضايقة ، التي لقيها من أجهزة السلطة .

* * *

● وفي عام ١٩٤٧ طرح الحزب شعار عدم الانحياز بين المعسكرين بمعناه العام ، وفي العام الذي تلاه تحدث عن الحياد الايجابي . وقاوم المتاعدات الخارجية ، لانها عندما تُعطىٰ من دولة قوية الى دولة ضعيفة تتحول الى نفوذ سياسي ودعا لان يساعد العرب بعضهم بعضا . وطالب بقانون خدمة العلَم ، **وظهر بعض التطور والتجديد في معالجة القضايا القطرية .** ففي حديث للاستاذ عفلق ، حول موقف الحزب من الحكومة ، نجد من مبررات معارضتها ما لم نجده بالماضي . ففي الاحاديث والبيانات السابقة ، كانت المبررات منصبة على صيانة الدستور والحريات العامة ، وتعميق الحياة الديمقراطية ، ومحاربة الفساد والرشوة والمحسوبية والوطنية الديمقراطية الرخوة . في حين انها هنا ، مرتبطة بعقيدة الحزب وبكونه عربيا «لا يعالج المشاكل القطرية ومنها مشاكل سورية ، الا في ضوء مصلحة الامة العربية الواحدة . ولانه حزب انقلابي ، لا يعتقد بجدوى الاصلاحات الثانوية التي تنادي بها الحكومة . ولانه شعبي يهمل ما لا يفيد قضية الشعب العربي» . هكذا اذن يعلن الحزب معارضته للحكومة بسبب انفصاليتها وانكماشها القطري ، وعدم قيامها عمليا ، بأية خطوة فعلية في سبيل الوحدة . ولأن عقلية اعضائها ومصالحهم ، لا تختلف عمن سبقوهم . ولانها من الطبقة الاقطاعية الرأسمالية المستغِلة التي لا تحس بآلام الشعب . **والى جانب ربط أسباب المعارضة بأهداف الحزب الاساسية ، نلاحظ ايضا ، طرحا لخطط عملية ، ومقترحات واقعية ملموسة حول هدفي الوحدة والاشتراكية .** فيطالب من أجل الوحدة ، بالتمرد على كل نفوذ اجنبي في أي قطر

عربي ، وازالة الرسوم الجمـركية ، وجـوازات السفر والجنسيـات المختلفة . وفي ما يتعلق بـالاشتراكيـة ، يطالب بمكـافحة الغـلاء المتصل بأسس النظام الاقتصادي والاجتماعي الفاسد ، وبوجـود الطبقة الحاكمة ، «ولذا فمشكلة الغلاء لن تحل الا في ضوء المباديء الاشتراكية التي يدعو اليها الحزب ، اي بتأميم الشركات الأجنبية وبتوزيع الاراضي التي تملكها الدولة ، على صغـار الفلاحـين ، فتنقذهم من الترامي في أحضان الاقطاعيين الذين يستنزفون دماءهم ويمتصون جهودهم . . وكـذلك بـالحد من طغيـان الملكية ورأس المال ، ومنح الفلاح والعامل حقهما الطبيعي في العيش عيشا انسانيا كريماً»[١٩] .

هذا ومن الجدير بالـذكر ، ان هـذا التصريـح اعطي عقب اجتماع عقده الحزب في ٢٧-١-١٩٤٧ وفي الفترة التي كانت فيها مباديء الحزب وأهدافه ، في طور الاعداد والتركيز ، لتقديمها بعد حوالي شهرين الى المؤتمر القومي التأسيسي الاول . وقمين بالملاحظة هنا ، ان البيان الصادر عن مناقشات المؤتمر القـومي التأسيسي ، والذي اعلن على الرأي العام ، يـطرح خطوات عمليـة في سبيل الوحدة ، فيطالب الجامعة العربية ، رغم تسجيل مآخذه الشديدة عليها ، بتوحيد التمثيل الخارجي والقوى العسكـرية في الاقـطار العربية ، بالاضافة الى الغاء الحواجز الجمركية وجوازات السفر .

اما في ما يتعلق بالمطاليب المرتبطة بالاشتراكيـة ، فلم تبق في نطاق العموميات والمباديء والشعارات العامة ، كما كان الحال قبل ذلك . بل جاءت معبرة عن حاجات مرحلية ملموسة بعيـدة عن التعجيز ، وقابلة للتـطبيق ، اذا ما اتيـح للبلاد حكـومة تقـدمية

جريئة . اما الحكومة القائمة يومذاك ، فكانت سياستها الاقتصادية بعيدة عن التنهيج الاقتصادي والتنمية ، ساكتة عن الشركات الاجنبية ، متحيزة مع الرأسمالية والمحتكرين والاقطاعيين ، ضد العمال والفلاحين . ولهذا طالب اعضاء المؤتمر التأسيسي بأن تكون سياسة الحكومة قائمة على الاسس التالية : حماية الانتاج الوطني بعد مراقبة وتحديد اسعاره ، والتوسع بالتصدير ، وتصفية اعمال الشركات الاجنبية ، وفرض ضرائب تصاعدية على الدخل والتملك والارث ، ووضع تشريع عادل للعمال والفلاحين ، واستخدام الوسائل الحديثة في الزراعة ، ومكافحة الغلاء والاشراف الجدي على التجارتين الخارجية والداخلية ، وتحديد الاسعار والارباح ، وتخفيض الضرائب على المواد الضرورية للمواطنين . . هكذا يبدو بوضوح ان الحزب في هذا البيان ، قد حافظ على التوازن بين الاهداف الثلاثة الاساسية في الوحدة والحرية والاشتراكية ، ولم يبرز التركيز على واحدة منها ، ويهمل الاخرى ، مثلما كان يحدث في البيانات السابقة .

ومن الامور الملحوظة في البيان ، ان الحزب يقرر رفض الاتحاد مع اي حزب في القطر السوري ، لان الاحزاب القائمة تتصف بسطحية الفكرة ، وبطابعها الاقليمي ، وعدم تجاوبها مع عقيدة حزب البعث ، القومية الاشتراكية الانقلابية ، ولا مع اساليبه في النضال . . غير انه يطرح العمل الجبهوي فيقرر انشاء فروع للحزب ، في الاقطار العربية ؛ وجواز التعاون مع الاحزاب العربية التقدمية ، لتنظيم جبهة شعبية قوية[٢٠] .

وفي منتصف عام ١٩٤٧ ، يدخل الاستاذان عفلق والبيطار ،

معركة الانتخابات النيابية ، ليس فقط من أجل التعريف بمباديء الحزب ، واتخاذ هذه المناسبة ، فرصة مؤاتية ، لمضاعفة الاتصال بالجماهير ، كما كان الامر في انتخابات عام ١٩٤٣ ، وانما من أجل النجاح ، واتخاذ البرلمان منبرا للمعارضة التقدمية الجريئة ، وبالتالي ، لتوسيع نفوذ الحزب ، والارتفاع برصيده الشعبي . ولهذا كانا يركزان في بياناتهما الانتخابية ، على ضرورة توفير الضمانات اللازمة لتأمين حرية الانتخابات ونزاهتها . ولو تحقق ذلك لكان النجاح حاصلا ، الا ان السلطة ، بذلت جهدها لمنعهما من الفوز ، باستخدام شتى وسائل الضغط والتزوير ، بينما بادر الحزب لكشف هذه الوسائل ، ومعارضة الفئة الحاكمة بقوة ، وفضح الخطر على الحرية ، والحياة الديمقراطية ، ومستقبل البلاد من جراء استمرارها في الحكم .

والحزب ، كما سبق ان ذكرنا ، عندما كان يتفرغ من معركة قطرية ، تتعلق غالبا بالحريات العامة ، وتستغرق جهوده ونشاطه ، يعود ليهتم بقضايا أشمل وأوسع وأكثر تعبيرا عن مجمل اهدافه الاساسية . ففي بيان صادر عن مجلس الحزب في اواخر ايلول ، نجده يعالج مشاكل البلاد العربية الى جانب معالجته المشاكل القطرية في سورية . ومما يسترعي الانتباه في هذا البيان ما يلي[٢١] :

العودة الى التحذير الشديد من التلاعب بالدستور وفرض الديكتاتورية ، خدمة لمصلحة الاقطاعيين ، مع ادانة التزوير المفضوح للانتخابات الذي اقدمت عليه الفئة الحاكمة . ولكن هذه الفئة التي كشفت الانتخابات عن ضعفها وانفضاض الشعب عنها ،

رغم استخدامها اجهزة السلطة والجيش ووسائل الضغط والاغراء والتزوير ، عمدت لتعديل الدستور بشكل يصبح معه بالامكان اعادة انتخاب السيد شكري القوتلي رئيسا للجمهورية . وهنا تصدى الحزب لمقاومة التعديل ، منعا لتحقيق ديكتاتورية الفرد التي تحتمي وراءها الفئة الحاكمة ، ومحافظة على ميزة اساسية للنظام الجمهوري ، وهي عدم جعل الرئاسة كالملكية وراثية ودائمة .

وفي هذه الفترة كانت قد ظهرت في محافظة السويداء (جبل العرب) حركة شعبية مسلحة ، ضد اساليب التسلط والاستئثار ، والتصرف بروح الاقطاع السياسي التي كان يمارسها عدد من آل الاطرش ، المسيطرين على مراكز السلطة والنفوذ في المحافظة . ولكن الحكومة شجعت قيادة هذه الحركة ، نكاية بوقوف سلطان الاطرش قائد الثورة السورية ، في صف المعارضة للمرسوم التشريعي رقم ٥٠ ولتعديل الدستور . اما الحزب فقد أيد مطاليب الحركة الشعبية واعتبرها مطاليب الشعب العربي في كل قطر ومنطقة ، ولكنه حذر من استغلال الفئة الحاكمة لهذه الحركة ونبه الى ضرورة توحيد النضال ، لمقاومة استبداد الحكم القائم واستغلاله .

اما من الناحية الاقتصادية ، فقد أثار مسألة الغلاء والبطالة والافلاس الاقتصادي ، وتلاعب الحكومة والتجار الكبار بأسعار المواد الضرورية ، وعلل ذلك بجهل واهمال السلطة وتعاونها «مع كبار التجار والرأسماليين والاقطاعيين ، ضد مصلحة الطبقات الشعبية الكادحة ، من تجار صغار وصناع وفلاحين وعمال وموظفين» . ثم قدم مقترحات عملية لمعالجة هذه المسائل الاقتصادية . وبعد ذلك ينتقل البيان الى معالجة المشاكل القومية فيقرر معارضته لمشروع سورية الكبرى[٢٢] ،

«بسبب انتقاص المعاهدة البريطانية الاردنية من استقلال الاردن ، وبسبب حرص سورية على مبدأ الجمهورية» ، كما يطالب الحكومة السورية باثارة قضية لواء الاسكندرون في هيئة الامم المتحدة ، ويطلب من الجماعة العربية ان تكون سياسة الدول العربية مع تركيا ، في الاتجاه الذي يساعد على استرجاع اللواء السليب . ثم يتعرض الى الوضع السياسي في لبنان ، ويرى ان سبيل الانقاذ ، يكمن في «تقدم الحركة العربية الشعبية التي ترجىء الائتلاف بين العروبة والحرية والعدل الاجتماعي»[٢٣] ، اما بالنسبة الى فلسطين ، فيرى ان عروبتها مهددة بالفناء ، اذا نفذ مشروع التقسيم ، وتمكن الصهاينة من اقامة دولتهم ، وان خطر قيام هذه الدولة لا ينحصر في فلسطين ، بل يتعداها الى الوطن العربي كله . ويعلل اسباب الفشل في معالجة هذه القضية الخطيرة ، بتخاذل الحكام ومماطلاتهم ، وعدم جديتهم ، ويرى ضرورة تسلم الشعب نفسه لهذه القضية ، وان تفسح الحكومات حرية التنظيم والتسلح ، وتعمل على مقاطعة الدولة المعادية . ويدعو الحزب أخيرا لتشكيل جبهة من القوى الشعبية المناضلة ، لقيادة المعركة بالكفاح المسلح .

ويتطرق البيان في نهايته الى «فشل الفئات الحاكمة في مصر والعراق والاردن ، في مقاومة الاستعمار ، بسبب من كونها أقلية متحكمة بالاكثرية الشعبية» .

وفي تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ انعقد مجلس الحزب في مدينة حمص ، واتخذ قرارا بأن يتطوع اعضاء الحزب للقتال في فلسطين . . ووجه نداء للمواطنين يحثهم فيه على تسجيل اسمائهم في مكتب الحزب ، اعتبارا من تاريخ ١٦ من الشهر المذكور ، من أجل التطوع في

كتائب الانقاذ . وفي الوقت نفسه ، شارك الحزب مع شخصيات وطنية بتشكيل «جمعية تحرير فلسطين» للاشراف على تنظيم المتطوعين للكفاح الشعبي المسلح .

ومما يجدر التنويه به ، ان الحزب بعد الاعلان عن تقسيم فلسطين في نهاية هذا العام ، وفي العام الذي تلاه ، اخذ ينظر الى هذه القضية على انها القضية المركزية ، وراح يوليها المكان الاول من اهتمامه ونشاطه ويعتبر انها بلغت حدا من الخطورة لا سبيل معه لانقاذها الا «بالحديد والنار» ، كما انه اوضح الابعاد الكامنة وراء التقسيم ، والاخطار الناجمة عن استمرار المعالجات السطحية والخطابية لهذه القضية الخطيرة . وشدد على ضرورة التعبئة الجدية واعتماد الجهاد والكفاح المسلح ، والمقاطعة الاقتصادية والثقافية والسياسية ، للدول المؤيدة للصهيونية . وطرح استخدام النفط كسلاح في المعركة[٢٤] . واعتبر ان قيام اسرائيل يقضي على هدف الوحدة العربية ، ويهدد استقلال البلاد العربية بالخطر ، لانها في برنامج الصهيونية ، ليست سوى رقبة جسر ، ونقطة ارتكاز لتأسيس الكيان الصهيوني من الفرات الى النيل[٢٥] .

● وفي مطلع عام ١٩٤٨ ، أنشأ الحزب ما عرف بأسم «مكتب فلسطين الدائم» ، توكيدا لاهتمامه بهذه القضية المركزية ، وتصعيد النشاط من أجلها . وفي منتصف الشهر الاول من هذا العام ، اتخذ مجلس الحزب الذي انعقد بحمص قرارا بتجنيد جميع اعضائه للاشتراك في القتال والمجهود الحربي ، وارسال المتطوعين المقاتلين الى فلسطين ، بقيادة لجنة الحزب التنفيذية ، كما استمر في اصدار البيانات وتحريك التظاهرات الشعبية ، لفضح المواقف

المتخاذلة للحكام ، ودفعهم باتجاه التعبئة الجدية ، وخوض المعركة بجد وصدق[٢٦] . غير ان الفئة الحاكمة في تلك الفترة ، كانت تسعى لاجراء تعديل في دستور البلاد ، يمكنها من تحديد انتخاب شكري القوتلي رئيسا للجمهورية ، ويعزز بالتالي ، من سيطرتها على الحكم وخنق الاصوات المعارضة ، وفي طليعتها صوت البعث ، حيث عمدت لمصادرة اعداد صحيفته ثم تعطيلها ، ومداهمة مقره ، واعتقال بعض اعضائه وارهابهم . وفي الرابع من آذار ، حيث كان قادة الحزب يحاضرون عن الدستور والحرية ، القيت مفرقعات ارهابية على المقر ، تبعها هجوم من الشرطة واعوان السلطة ، واعتقال خمسين شابا من البعثيين . واضطر الحزب لخوض معركة عنيفة ضد الحكام ، لمنعهم من تعديل الدستور ، ومن ثم فرض الديكتاتورية على البلاد . ذلك لان الحزب كان يرى «ان التعديل الحكومي يرمي الى التضييق على الحريات العامة تمهيدا للقضاء عليها» ، فأصدر كثيرا من البيانات التي فضحت اخطار التعديل وأهدافه ، واتهمت الحكام بتزوير الانتخابات وافساد الضمائر والتضحية بالاخلاق والمصلحة العامة ، وبالتحايل والاختلاس واسترضاء الانصار والمحاسيب ، وسوء الاستعمال والتضليل . .

وعندما رجع قادة الحزب وأعضاؤه الذين كانوا يقاتلون مع المتطوعين في فلسطين ، شددوا حملتهم على الفئة الحاكمة المستهترة بارادة الشعب . غير ان السلطة عمدت لسحب امتياز جريدة الحزب ، واعتقال عميده ، وعدد من اعضائه في ايلول ، على اثر منشور ذكر فيها كيف نجح أكثر من نصف المجلس النيابي بالتزوير وقوة السلاح وكيف ان الحكومة ضمت أبطال التزوير وكبار

المستغلين ، وأوصلت البلاد الى حال من الفوضى والتأخير والانحلال ، لم يعرف لها مثيل[٣٧] .

وعلى أثر الاعتقالات ، اصدر الحزب بيانا هاجم فيه الحكم بعنف ، وكشف ان القضاء بتوقيفه عميد الحزب ومحاكمته ، استند الى قرار اصدره الفرنسيون عام ١٩٢٥ لمحاربة الثورة السورية . وفي نهاية تشرين الاول ، اصدرت محكمة الاستئناف حكمها عليه بالسجن ستة أشهر ، ثم خفضتها الى شهرين ، باعتباره من الذين ناضلوا ضد الفرنسيين في اثناء الانتداب .

وفي نهاية هذا العام كانت التظاهرات الشعبية في دمشق والمدن السورية ، والتي كان للحزب فيها دور رئيسي وبارز ، قد اشتدت واتسع نطاقها ، فاضطرت الحكومة لاستخدام القوة في قمعها ، مما أدى لوقوع عدد كبير من الجرحى والقتلى . وعندئذ طالب الحزب باقالتها ومحاكمة مزوري ارادة الشعب ومستغليه ، واجراء انتخابات حرة نزيهة ، وعدم القبول بتسوية غير حاسمة . . ولكن الفئة الحاكمة التي قبلت باقالة الحكومة ، امتصاصا ، للنقمة الشعبية ، عمدت لتشكيل حكومة موظفين تأتمر بأمرها ، وتنفذ سياستها . ولهذا استمر الحزب بمعارضتها ، وفضح عجزها عن وضع حدد للفساد والتردي في السياستين الداخلية والخارجية ، كما أثار قضيتين أساسيتين ، هما قضية النقد ومنع ارتباطه بالفرنك الفرنسي ، ثم تمرير خط التابلاين عبر سورية بشروط مجحفة وضارة بمصلحة البلاد .

● وفي عام ١٩٤٩ صعّد الحزب نضاله ضد هاتين القضيتين ، وحرك التظاهرات لاحباطها وبخاصة عندما وافقت الحكومة عليها ،

وقدمتهما الى المجلس النيابي في شباط لمناقشتهما والموافقة عليهما . غير ان الانقلاب العسكري الذي قام به حسني الزعيم في الثلاثين من آذار ، أطاح بالحكومة والمجلس النيابي ، فهلل له الشعب والحزب واستبشرا به خيرا ، لاطاحته بالفئة الحاكمة المعادية لاهداف الجماهير وارادتها من جهة ، وأملا في ان يكون نقطة تحول لمرحلة جديدة ، تتخطى اوضاع الفساد والتردي ، وتحقق ما كانت تدعو اليه المعارضة الوطنية من جهة ثانية . ولكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن ، فسار قادة الانقلاب باتجاه خاب فيه أمل القوى الوطنية والتقدمية ، وعلى رأسها حزب البعث الذي طالب بتشكيل حكومة حائزة على ثقة الشعب ، وتطهير الجهاز الحكومي ، وتامين الحريات العامة ، واجراء انتخابات حرة . وفي ٢٤ آيار قدم الحزب مذكرة الى زعيم الانقلاب ، انتقد فيها اعتماد العهد على اشخاص كانوا من دعائم العهد الماضي ، مع تجاهل الحزب والقوى التقدمية ، عند تشكيل الحكومة الجديدة ، والغاءه امتيازات الصحف ، واقراره اتفاقيتي النقد والتابلاين ، وتكليف لجنة من الموظفين لوضع مشروع لدستور جديد ، واصداره مرسوما تشريعيا يقضي بمنع الموظفين من الاشتغال بالسياسة والانتماء لأي حزب سياسي . وعلى أثر هذه المذكرة ، اعتقل عميد الحزب مع عدد من الاعضاء ، وبدأ اضطهاد البعثيين يشتد ويتصاعد في ظل الانظمة التي جاءت بها الانقلابات العسكرية .

نقف عند هذا الحد من الكلام عن نضال الحزب ، في مرحلة الاربعينات التأسيسية ، التي انتهت مع انتهاء الحياة البرلمانية ، بأول انقلاب في سورية ، كشف القشرة السطحية للديمقراطية في المنطقة

كلها ، وخلق بالتالي ، ظروفا وشروطا جديدة وقاسية للنضال والعمل الحزبي .

هوامش الفصل الثاني

(١) انظر قسم الملاحق ص ....

(٢) من اسباب الاستقالة خلافهما مع مدير المعارف حول سياسته التربوية المسايرة للاحتلال الاجنبي وفي عام ١٩٤٩ عرضت الحكومة عليهما منصب سفير فرفضا العرض .

(٣) راجع نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٢٨ ـ ٣٠ عن مبررات التصريح ونتائجه .
[لقد اعتمدنا الجزء الاول من نضال البعث الطبعة الثانية لعام ١٩٧٠ ، دار الطليعة ، بينما اعتمدنا في قسم الملاحق الطبعة الثالثة منه لعام ١٩٧٢] .

(٤) في سبيل البعث ط٣ لعام ١٩٦٣ ، دار الطليعة ، ص ٢٧ ، ٣٠ ، ٦٠ : مقالات : نحن وخصومنا ، ذكرى الرسول العربي .

(٥) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٢٩ .

(٦) ذهب الحزب مع اللعبة البرلمانية في الخمسينات الى ابعد مما يجب ان يذهب اليه ، مما اضطر المؤتمر القومي السادس عام ١٩٦٣ ، لنقد ذلك والتنبيه اليه .

(٧) نضال البعث ، الجزء الاول ، ص ٣٣ .

(٨) سياتي توضيح مسالة التوفيق بين العروبة والاسلام في الفصل الثالث الخاص بالمنطلقات الفكرية والنظرية .

(٩) كان التعديل يستهدف الغاء المادة الخاصة بتمديد امتيازات الدولة المنتدبة ، وجعل الوظائف الكبرى بأيدي اللبنانيين ، واللغة العربية لغة رسمية للبلاد ، ثم تغيير شكل العلم .

(١٠) راجع البيان في نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٤٠ ـ

(١١) انظر «في سبيل البعث» ، ص ١٩٥ «موقفنا من النظرية الشيوعية» . وكذلك كراس «القومية العربية وموقفها من الشيوعية» بقلم : ميشيل عفلق وصلاح البيطار .

(١٢) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٦٢ .

(١٣) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٨٨ .

(١٤) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٨٨ .

(١٥) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ١١٨ .

(١٦) نفس المرجع ـ ص ١٢١ .

(١٧) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ١٣١ .

(١٨) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ١٣٥ .

(١٩) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ١٣٥ .

(٢٠) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ١٣٧ .

(٢١) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٢٢) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ١٨٩ .

(٢٣) راجع نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٢٠٩ ـ ٢٢٣ .

(٢٤) [في ١٤ آب ١٩٤٧ اعلن الملك عبدالله ، بيانا ملكيا «حول مشروع سورية الكبرى والاتحاد العربي» وايده بعض السياسيين . ولكن المجلس النيابي السوري اعلن في نهاية ايلول استنكاره للبيان بالاجماع] .

(٢٥) نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٢٢١ .

(٢٦) انظر قسم الملاحق .

(٢٧) راجع نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٢٢٩ .

(٢٨) [استشهد عدد من البعثيين في فلسطين عام ١٩٤٨ نتذكر منهم مامون البيطار من دمشق وسليمان الكريدي من السويداء ....] .

(٢٩) راجع نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦ .

الفصل الثالث

المنطلقات الفكرية والنظرية

آ ـ ملاحظات تمهيدية :

لابد من الاشارة في هذا الفصل ، الى انه بالرغم مما كتبه بعض البعثيين الاوائل في المسائل الفكرية والنظرية للحزب ، في مرحلة الاربعينات التأسيسية ، فقد كانت كتابات الرفيق المؤسس وأحاديثه ، هي المرجع الاول والاساسي في هذا المجال[1] . ومن يرجع الى مقالاته الاولى ، يستطيع ان يتلمس بعض منطلقات الحزب النظرية ، ونقطة البداية في ظهورها . ففي مقالة له بعنوان (ثروة الحياة) عام ١٩٣٦ ، نجد ملامح عامة لمفهوم الاشتراكية لديه بقوله «ما نظرت الى الاشتراكية في يوم من الايام ، كواسطة لاشباع الجياع والباس العراة فحسب ، ولا يهمني الجائع لمجرد كونه جائعا ، بل للممكنات الموجودة فيه ، التي يحول الجوع دون ظهورها»[2] .

ومن هذه العبارات يظهر منطق الرد ، على مبالغة الماركسية في اعتماد النظرة المادية ، واهتمامها الزائد بالجانب المادي من الحياة البشرية . . كما انه يرد ايضا في عبارات اخرى على الذين يفهمون الاشتراكية ، فهما سطحيا خاطئا ، عندما يرون في الشفقة والاحسان والصدقة ، سبيلا لمعالجة الاستغلال البشع الذي تمارسه الاقطاعية والرأسمالية . وذلك في قوله «ان الذي يظن الاشتراكية دينا للشفقة مخطىء ايما خطأ . وما نحن رهبانا نلوذ بالرحمة ، لنطمئن وجدانا أقلقه مرأى البؤس والشقاء . واننا في دفاعنا عن الجماهير المحرومة ، لا نطلب لها صدقة ، بل نطلب لها حقا»[3] .

وفي عام ١٩٤١ وردت لاول مرة عبارة (الرسالة العربية الخالدة) في مقالة بعنوان «نحن وخصومنا» .

ووردت عبارة (اهداف البعث) في مقال آخر عن الايمان ، وذلك

رغم ان تسمية الحزب باسم (البعث العربي) ، وكذلك شعاره ، لم يظهرا الا في عام ١٩٤٣ ، ورغم ان توضيح معنى الرسالة الخالدة وشرحها لم يبدأ الا في عام ١٩٤٦ وفي اوائل الخمسينات . وأهم ما كان يركز عليه في تلك المرحلة ، قضية القومية العربية ، ومفهومها ، وعلاقة الدين والقيم الروحية بها ، واستبعاد التصادم بين العروبة والاسلام . والتوكيد على شخصية الامة العربية وخصائصها . واعطاء الحركة الجديدة طابعا مرتبطا بكيان الامة العربية وماضيها ، وحاجاتها وأوضاعها الخاصة المميزة لها ، بالاضافة الى التمسك بالقيم الروحية والخلقية ، واعتماد الاسلوب الانقلابي اي الثوري ، مع رفض المبدأ الماكيافيلي الذي يرى في الغاية تبريرا للوسيلة ، وكذلك الدعوة الى الوحدة والحرية والاشتراكية والربط بينها في عام ١٩٤٦ ، مع التشديد على الاصالة والابداع ، وضرورة الابتعاد عن التقليد والاصطناع . كل هذا يظهر من خلال تلك الكتابات والاحاديث التي يبدو فيها صدق العاطفة ، وحرارة الايمان ، وتتخللها عبارات مثالية وأخرى مجردة عامة . هذا ومن الطبيعي ان يكون بعضها مرتبطا بظروف تلك المرحلة ، جاء من وحيها ، وعبّر عن حاجاتها ، وأدى دوره في حينها .

كما ان من الموضوعية والامانة التاريخية ، ان نتفهم الفكرة ، أية فكرة ، من خلال ظروفها ومبرراتها والغاية الاساسية منها ، ومن دون نظارات تنقلها الينا مكبرة او مصغرة او بلون لا يعكس حقيقتها وجوهرها . فلو اخذنا على سبيل المثال ، العبارة التالية من مقالة «واجب العمل القومي» عام ١٩٤٤ : «خطر كبير على الشباب اذا اجازوا لانفسهم هذا الانفلات والتيه في التفكير ، ولم يحصروا تفكيرهم وشعورهم بما تقتضيه القومية في المرحلة الحاضرة ، فهي مرحلة

استجماع للقوى في الداخل ، مرحلة تقلص وحصر وتركيز ، لا مرحلة اشعاع وفيضان . وهي مرحلة اهتمام بالنفس ، لا مرحلة غيـرة على الآخرين»[٤] . نقول ، لو اخذنا هذه العبارة بصورة مجردة عن ظروفها ، وعن مجمل المقال وجوهره ، لظهر ان كاتبها ضد الانسانيـة وذو نظرة قومية متعصبة ، مع ان العكس هو الصحيح .

وعلى أي حال ، فاننا اذا ما اردنا تحـديد السمـات الاساسيـة ، لمنطلقات البعث النظرية ، بدقة وموضوعية ، فعلينا ان نستمدها مما ورد في دستـور الحزب الـذي أقره المؤتمـر التأسيسي الاول عـام ١٩٤٧ . واستنادا الى ذلك ، يمكننا ان نحدد هذه السمات فيما يلي :

ب ـ أهم المنطلقات النظرية :

اولا : الايمان بالفكـرة القوميـة ، واعتبارهـا حقيقة حيـة خالـدة . والبعث في نظرته الى القومية تجاوز المفاهيم السائدة عنها ، في ان شجب المفـاهيم العـرقيـة والعنصـريـة والنـزعـات التعصبيـة والرجعية ، التي علقت بها ، فأكد على انسجـام القوميـة مع المباديء الانسانية ، وعلى «انها تعبير عن ارادة العرب في الوحدة والتحرر والتعاون مع سائر الشعوب ، على ما يضمن للانسانية سيرها القويم ، الى الخير والرفاهية وايجاد عالم منسجم حر آمن في سبيل التقدم الدائم»[٥] . والمهم انه شدد على ربط القومية بالانسانية وعلى المضمون الانساني الاشتراكي للقومية العربية .

ثانيا : الايمان بأن التجزئة في الوطن العربي ، حالة طارئة مصطنعة ، وبأن الفوارق بين أبنائه عرضيـة زائفة ، تـزول جميعها بيقـظة الوجدان العربي[٦] . وهذا فانه يشكل وحدة سياسية اقتصادية

ثقافية . وعلى العرب ان يحققوا هذه الوحدة عن طريق النضال الوحدوي . وقد تميزت نظرة الحزب الى الوحدة ، في انه لم يبقها مجردة ، او دعوة عاطفية ، بل اعطاها محتوى ديمقراطيا اشتراكيا حيا ، عندما ربطها بالحرية والاشتراكية ، وأقام تنظيمه على أساس قومي ، متخطيا بذلك حواجز التجزئة في الوطن العربي . وبالرغم من ان الحزب لم يطرح الوحدة في تلك المرحلة ، بصيغ عملية ودستورية ، ولم يركز عليها الا في مناسبات معينة ، فقد لعب الدور الاكبر في توعية الجماهير وتثقيفها على هدف الوحدة وعقيدتها .

ثالثا : الاهتمام الشديد بالحرية ، والتركيز على ضرورتها في تحقيق الانبعاث القومي الشامل المنشود . وهي في نظر الحزب ، تعني تحرير الانسان العربي ، من قيود الفقر التي تكبل مواهبه ، ومن كل سيطرة سياسية واقتصادية اجنبية ، ومن جميع انواع التسلط الداخلي . كما ان مفهومها لا يقف عند حدود التحرير للفرد العربي والامة العربية ، بل يتعداهما الى مساعدة الشعوب المضطهَدة من أجل ان تنال حريتها . وقد اعتبر الحزب ان حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة ، لا يمكن لاية سلطة ان تنتقصها ، ولكنه اراد ان يخفف من هذا الطابع الليبرالي العام ، لمفهوم الحرية ، فأشار في أماكن اخرى من الدستور ، الى ضرورة الانسجام بين حرية الفرد والمصلحة القومية فقال :

«ان الدولة مسؤولة عن صيانة حرية القول والنشر والاجتماع والصحافة ، في حدود المصلحة العربية العليا»[٧] .

غير ان نظرة الحزب الى الحرية تتميز في ناحيتين : الاولى في

انه ربطها بمصلحة الجماهير ، وبأن تكون الـدولة منبثقـة عن ارادتها . كما ركز على ان الشعب مصدر كل سلطة وقيادة»[٨] .

اما الناحية الثانية فتتميز بربطه الحرية بالاشتراكية ، وهذا يعني رفض الديمقراطية البرجوازية التي تزيف جوهر الحرية ، وتطعنها في الصميم . على اننا نستطيع القول بصورة عامة ، ان المفهوم الليبرالي للحرية لدى الحزب ، كان يتقلص مع الايام ، ليحل محله ، وبصورة اوضح مفهوم الديمقراطية الشعبية .

رابعا : الايمان بـأن «الاشتراكيـة ضرورة منبعثـة من صميم القوميـة العربية ، وانها النـظام الذي يسمـح للشعب العربي بتحقيق امكاناته وتفتح عبقريته ، على أكمل وجه . ويضمن للامة نموا مطردا ، في انتاجها المعنوي والمادي ، وتآخيا بين افرادها»[٩] .

وبالرغم من وجود بعض النواقص والثغـرات في المواد التي وردت في دستور الحزب عام ١٩٤٧ ، حول الاشتـراكية ، فقد كانت ثورة ، في تلك المرحلة ، ومعبِّـرة في مجملها عن المبادىء والاسس الجوهرية للاشتراكيـة ، وذلك في اعتبـاره «الثروة الاقتصادية في الوطن العربي ملكا لـلامة» وفي «منـع استثمار جهد الآخـرين» وفي «تصنيع الـوطن العربي وتنمية الانتـاج القومي ، في ضـوء أحـدث التجـارب والنـظريـات الاقتصادية»[١٠] .

هذا ويلاحظ ان الحزب كان معترضا على جوانب كثيرة من الفلسفـة الماركسيـة ، وبخاصـة موقفهـا من القـوميـة ، ونظريتها في المادية التاريخية ، اي التفسير المادي للتـاريخ . ولكنه في مواقفه النضالية اليومية ، كان يتخطى بعض المفاهيم

الاشتراكية ، التي وردت في دستوره عام ١٩٤٧ م . كما ان بعض مؤتمراته القومية اللاحقة ، عمدت بعد التجربة الحية والممارسة النضالية ، الى تطوير وتعديل بعض منطلقات الحزب الفكرية ، والى توضيح وتعميق بعضها الآخر .

خامسا : يتميز حزب البعث العربي الاشتراكي ، بأنه كان اول حركة في الوطن العربي ، طرحت القضية الاشتراكية ، جنبا الى جنب مع القضية القومية ، واعتبرت الوحدة والحرية والاشتراكية اهدافا اساسية مترابطة ترابطا عضويا حيا ، لا يجوز فصلها عن بعضها ، كما لا يصح الاهتمام بواحدة منها ، واهمال الاخرى . وكان هذا الربط الجدلي ، بين هذه الاهداف الثلاثة ، أروع وأقوى ما اتسمت به عقيدة البعث ومنطلقاته النظرية . ولقد أتت الاحداث المتعلقة بتجارب الوحدة ، والممارسات الديمقراطية ، والتدابير الاقتصادية التي استهدفت السير في طريق الاشتراكية ، لتؤكد صحة هذا الترابط وضرورته[١١] . وأصبحت هذه الاهداف الثلاثة كشعار واحد يردده الحزب والجماهير منذ صيف ١٩٤٩ م .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، ان المؤتمر التأسيسي ناقش مفهوم الاشتراكية مطولا ، لوجود تيارين : احدهما متحمس لها ، والآخر متحفظ تجاهها . كما نوقشت مفصلا مسألة الاقليات ، وتعريف العربي ، وقضية النص في الدستور على ان يكون نظام الدولة العربية جمهوريا ، ام الاكتفاء بالنص على ان يكون نيابيا دستوريا ، وذلك لمراعاة واقع الانظمة الملكية ، وتسهيل انتشار الحزب فيها .

سادسا : لقد حرص الحزب على ان يتميز عن الاحزاب التقليدية ، التي كانت قائمة في مرحلة الاربعينات ، فأراد ان تكون عقيدته ، علمية ثورية ، وعلمانية عصرية ، مع عدم التنكر للقيم الروحية المرتبطة بتاريخ الامة العربية وتراثها الحضاري ، كما ارادها ان تكون منفتحة وقابلة للتطور والتجدد ، ومستندة الى تنظيم دقيق محكم ، وقاعدة جماهيرية واسعة . غير انه لم يستطع من الناحية التنظيمية ، ان يلبي حاجات المرحلة ، وأن يرتفع الى مستوى طموحه وعقيدته ، فبقيت الوسيلة والاداة ، أضعف كثيرا من الاهداف والغايات .

سابعا : كان الحزب يدرك ان تحقيق اهدافه الضخمة ، في الوحدة والتحرر والاشتراكية لا «يمكن ان يتم الا عن طريق الانقلاب والنضال ، وان الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالاصلاح الجزئي السطحي ، يهددان هذه الاهداف بالفشل والضياع» .

والانقلاب هنا بمعنى الثورة . ويشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية[١٢] ، ويؤدي الى «التغيير الحاسم ، في مجرى الحياة ، ولا يترك الزمن يسيطر على مقدرات الامور» كما انه يبدأ من النفس ، ويستوجب صدق النضال ، والمزيد من الوعي والايمان والشعور بالمسؤولية . . .

ثامنا : لقد أكد حزب البعث منذ نشأته ، على الناحية الاخلاقية ، ودعا الى التزام جانب الحق والحقيقة ، ومصارحة الشعب ، ورفض المبدأ الماكيافيلي ، الذي يرى ان الغاية تبرر الواسطة ،

والذي اعتمده السياسيون التقليديون وساروا عليه . لقد أراد الحزب ان يجعل صلته بالجماهير ، قائمة على الثقة التامة ، والتعبير الصادق عن مصالحها ، وهذا لن يكون ما لم يبرهن في سلوكه ومواقفه ، عن انه يختلف عن الاحزاب والفئات الحاكمة التي تمادت في استخدام المراوغة في عملها السياسي ، وما لم يقدم الادلة العملية ، على ان «له صدق الاطفال وصراحتهم . . وحياته لا فرق بين باطنها وظاهرها ولا تناقض بين يومها وأمسها»[١٣] .

تاسعا : وبما ان الشعار «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» من منطلقات الحزب الفكرية ، ويعطي ايديولوجية البعث آفاقا رسالية وابعادا تاريخية وحضارية تشحذ في الأعضاء روح الحماسة والاندفاع للبذل والنضال ، فمن المفيد ان نوضح باختصار معنى الرسالة فيما يلي :

ان البعث كحزب قومي اشتراكي تتسم ايديولوجيته بالعلمية والثورية لم يعن في مؤتمراته بمسائل نظرية دينية او ميتافيزيقية مجردة ، ولم ينطلق من نظرة شمولية تجريدية ، ولا من نظرية فلسفية مادية او روحية معينة . ولئن وردت في بعض ادبياته الفاظ الرسالة الخالدة والروح والايمان والقدر والمصير . فيجب أن لا تؤخذ بمعناها الحرفي الجامد او الظرفي ، بل ضمن سياقها العام ومعانيها الاساسية المقصودة ، وهدفها هو رفع مستوى الحماسة والاندفاع في سبيل الانبعاث العربي المنشود . نقول هذا لأن بعضهم فهم الرسالة الخالدة بمعناها السطحي الظاهري بنية حسنة او بقصد

مقصود ومتذرعا ايضا ببعض التعابير ذات الطابع الايماني التفاؤلي او الذاتي الوثوقي . ومهما يكن من امر فان المعنى العام الشامل للرسالة من خلال ما نفهمه من أدبيات الحزب وممارساته النضالية هو :

«ان يكون للامة اهداف قومية وانسانية عظيمة وسامية ، تعبر عن طموحها وارادتها في التقدم ، وطليعتها الواعية الثورية هي التي تستوعب الواقع بآلامه وتحدياته ، وتبلور اهداف الامة في ايديولوجية علمية واضحة ، كما تخلق اداة تحقيقها ، اي التنظيم المتكافىء معها ، والعامل على بلوغها بأساليب علمية ثورية ، بالاضافة الى قيادة الجماهير وتفجير طاقاتها الكامنة .

والرسالة العربية هي نزوع الامة العربية ، ونضالها الواعي المنظم ، من أجل التغلب على واقعها الضعيف المجزأ المتخلف ، وللتحرر من كل أشكال الظلم والاستغلال والتسلط التي تمارسها الامبريالية والصهيونية والرجعية الحاكمة ، ولاقامة الدولة الديمقراطية الاشتراكية الموحدة ، واطلاق المواهب والطاقات الحبيسة باتجاه البناء والعطاء والابداع ، وفي سبيل الاسهام الفعال في صرح الحضارة البشرية ، وتعزيز القيم الانسانية الايجابية وتعميقها ، وتجاوز الاخطاء والنواقص القائمة في كلا النظامين الرأسمالي والشيوعي ، وتدعيم التعاون بين الشعوب على أساس من الحق والعدل والمساواة ، وتوطيد الامن والسلام والرفاهية والتقدم بين الامم»[١٥] .

وبعد فلو شئنا ان نعرّف حزب البعث العربي الاشتراكي ببضع كلمات لقلنا انه ، من حيث الهدف ، حزب قومي عربي انساني ، اشتراكي ، وحدوي ، ومن حيث الاسلوب علمي ديمقراطي عقيدي ، اخلاقي انقلابي (أي ثوري) نضالي ، شعبي .

ج - بعض الايضاحات المهمة :

على انه من المفيد في هذا المجال تفسير بعض المسائل والقضايا المتعلقة بالمنطلقات الفكرية . وتوضيحها فيما يلي :

١ - كان الحزب في تلك المرحلة ، يركز على القومية العربية ، وشخصية الامة وروحها ومميزاتها وخصائصها ، ويشدد على فكرة الاصالة والاستقلالية والتميز ، والمحافظة على الثقافة والقيم الخلقية والمثالية المميزة للامة العربية .

ولكي ندرك مبررات ذلك ودواعيه ، لابد من أن نتذكر ظروف تلك المرحلة وخلفياتها الفكرية والسياسية وهي باختصار ، مرتبطة بذكريات سياسة التتريك ، وامعان الاستعمار الحديث بتجزئة الوطن العربي ، وسعيه الحثيث لطمس الشخصية العربية ، وبنشاط المنظمات الشعبية الاممية منها ، والاقليمية المناهضة للقومية العربية ، وبضرورة تعزيز الوعي القومي ، وتحصينه ضد غزو الثقافة الغربية المجردة ، وضد الانتشار الواسع للمفاهيم الخاطئة عن القومية ، كالتي تصفها بالتعصب او تضعها في معاداة الانسانية .

مما تقدم نخلص الى القول ان التركيز على شخصية الامة

العربية ومميزاتها ورسالتها الخالدة ، كان يتضمن معنى الحرص على كيانها القومي ، وعلى النزوع نحو الاستقلالية عن نفوذ الدول الكبرى ومذاهبها السياسية . ولعل شعار الحياد الايجابي وعدم الانحياز الذي اطلقه الحزب منذ عام ١٩٤٨ ، ثم احتل حيزا مهما على الصعيد السياسي في الخمسينات ، انما كان يعبِّر الى حد بعيد عن رغبته في التمسك بهذه الاستقلالية .

٢ ـ لقد سبق ان أشرنا الى ان الاخوان المسلمين ، كانوا اقوياء ومنظمين ، ولهم تأثير واسع على الجماهير ، لانهم طرحوا انفسهم ، حماة للدين ، ومدافعين عن قيمه وتعاليمه في مواجهة المارقين والملحدين !! ونشطوا في الضغط على الفئة الحاكمة ، لكي تنص في دستور البلاد ، على ان الاسلام دين الدولة ، وعلى ضرورة تبنيها لمنطلقاتهم النظرية . كما انهم راحوا يشككون بفكرة القومية العربية ، ويعتبرونها متعارضة مع الدين . وليس هذا فحسب ، بل ان عددا غير قليل من كبار الكتّاب والمفكرين وبخاصة في مصر ، كان يكتب بهذا المنطق الذي يباعد بين العروبة والاسلام ، ويثير الخصومة والتصادم بين القومية والدين .

غير ان الاستاذ عفلق في خطابه عن ذكرى الرسول العربي ، عام ١٩٤٣ ، عالج هذه القضية بدقة عندما وضّح ، ان انفصال القوميةعن الدين في الغرب منطقي ، لان الدين وفد اليه من الخارج ، بينما هذا الانفصال مصطنع بالنسبة الى العرب ، لان الاسلام بالنسبة اليهم ، يفصح عن شعورهم ونظرتهم الى الحياة ، ويعبر عن وحدة شخصيتهم ، ويشكل اروع صورة للغتهم وآدابهم ، وأضخم قطعة من تاريخهم القومي ، ولأن الاسلام في

جوهره وحقيقته حركة عربية ، ويعني تجدد العروبة وتكاملها ، ولانه نزل في أرضهم وبلغتهم ، ولأن الرسول عربي ، والابطال الاوائل الذين ناضلوا من أجل الاسلام ونصروه ، هم من العرب ، «ولان فهمه للاشياء كان بمنظار العقل العربي ، والفضائل التي عززها كانت فضائل عربية ظاهرة او كامنة ، والعيوب التي حاربها كانت عيوبا عربية سائرة في طريق الزوال»[١٤] .

ثم ينتهي الى القول : «ان قوة الاسلام في هذه المرحلة قد بعثت وظهرت بمظهر جديد هو القومية العربية»[١٥] . كما انه انتقد السطحيين من رجال الدين الذين يقرأون سيرة الرسول العربي ويترنمون بها ، ولكنهم لا يفهمونها كتجربة حية من الداخل .

ومما قاله في مقاله عن قضية الدين في البعث العربي «على المناضل البعثي ، ان يتذكر دوما ، انه مؤمن بالقيم الايجابية والقيم الروحية ، وانه يحارب تزييف القيم ، من قبل الرجعية ، ولا يحارب القيم نفسها»[١٦] .

اما المؤتمر التأسيسي للحزب فلم يتعرض لهذه القضية ، بل ذكر في ركن التربية والتعليم «ان سياسة الحزب ترمي الى خلق جيل عربي جديد ، مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها ، آخذ بالتفكير العلمي ، طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية» .

وعلى اي حال فان تلك الاقوال كانت ، سلاحا للبعثيين في ذلك الحين ، كي يواجهوا فيه منطق الاخوان المسلمين ، ومحاولاتهم تحريض الجماهير على الحزب وتنفيرها منه ، بحجة انه ضد الدين وقيمه الروحية . كما كانت مفيدة في مواجهة اصحاب الثقافة المجردة ، الذين كانوا يفهمون القومية العربية من خلال

اطلاعهم على نشوء القوميات وطبيعتها في اوربا . ولعل التوكيد على الطابع الروحي والفكري والخلقي والمثالي لحركة البعث ، ناجم عن الفهم الواقعي للمجتمع العربي ولتراثه الحضاري ، الى جانب الرغبة بالتميز عن الدعوات والمنظمات المبالغة في نظرتها المادية ، وتنكرها لذلك التراث ، ومنسجم مع الطموح الى ان يكون البعث بديلا عنها في الوطن العربي .

٣ ـ في مرحلة الاربعينات ، كان الطابع العام للعلاقة بين البعث العربي الاشتراكي ، والحزب الشيوعي في القطر السوري ، هو طابع التنافس والخصومة .

ومن عاش تلك المرحلة ، واطلع على المواقف السلبية للحزب الشيوعي تجاه البعث والقضايا القومية الاساسية ، وتذكّر تلك الظروف السياسية والاجتماعية ، يجد الخصومة بين الحزبين امرا طبيعيا ، ان لم نقل محتوما : فمن جهة ، كان البعث حركة ناشئة جديدة ، تريد ان تثبت وجودها ومنطلقاتها الايديولوجية ، وأن تتميز وتحمي الشعور القومي من العبث والتشكيك ، وتجعل من الشخصية القومية حقيقة ناصعة ، لا مجال لطمسها وتشويهها . حركة جديدة تدعو الى الوحدة العربية ، بمضمون اشتراكي ديمقراطي ، وتحرص على ان تكون أصيلة مجددة ، غير تابعة ولا مقلدة ، تحافظ على صلتها بماضي الامة العربية وتراثها الحضاري ، وتسعى ابدا نحو الاستقلالية والتميز . اما من الجهة الثانية ، فنجد الحزب الشيوعي السوري ، ينظر الى حركة البعث الفتية ، كمنافس قوي له على كسب الجماهير والجيل الجديد . وكان في بعض مواقفه من القضايا القومية الخطيرة ، كقضيتي

فلسطين والاسكندرونة ، متأثرا باتجاهات السياسة الدولية الخارجية ، كما كان في ذلك الحين من أشد الاحزاب وأعنفها في التصدي لحزب البعث العربي الاشتراكي ، وتسفيه منطلقاته النظرية في القومية والوحدة والاشتراكية .

ان وضعا كهذا بالنسبة للحزبَيْن يقود بطبيعة الحال ، الى التنافس والتصادم . غير ان بعض الاحكام القاسية ، التي اطلقها حزب البعث على الشيوعيين في سورية في بعض نشراته ، كوصفهم بأنهم دعامة الشعوبية ، ودعاية الاجنبي ، كان بتأثير صدام دموي ، بين البعثيين والشيوعيين ، في ذلك الحين ، ونتيجة لردود الفعل في مناسبات معينة[١٧] . غير ان هذه الخصومة لم تقف عند حدودها السياسية بل تعدتها الى الناحية الفكرية والنظرية . وذلك لان الحزب رغم فهمه للماركسية وانفتاحه عليها ، فانه لم يأخذ بكثير من منطلقاتها النظرية ، وبخاصة فيما يتعلق بالفكرة القومية ، والنظرية المادية في تفسير التاريخ[١٨] ، ونظرتها الى الفرد وأسلوب تحقيق الاشتراكية . .

ولئن تضمنت كتابات الاستاذ عفلق ، في بعض الاحيان ، نقدا جارحا وقاسيا للماركسية ، في وصفه لها بالسلبية والاصطناع والحقد ، وفي معارضة مفهومها للصراع الطبقي[١٩] ، فان ذلك يجب ان يفهم من خلال الخصومة ، وردود الفعل والانفعالات التي وجدت في تلك المرحلة ، من جهة ، ومن خلال معرفته كثيرا من نقاط الضعف والخطأ فيها ، ورغبته في تجاوزها ، والتميز عنها من جهة ثانية ، والحق ان الوقائع الحية في الوطن العربي ، وتجارب

اشعوب الأخرى ، قد أتت لتؤكد صحة الكثير مما ذهب اليه الحزب ، في نقده لموقف الشيوعيين المحليين ومنطلقاتهم النظرية والسياسية ، والاسلوب الستاليني في تطبيق الاشتراكية . غير ان ما يهمنا من مسألة الخصومة ، بين القوى التقدمية ، هو ان تبقى في حدود التنافس لا التنازع ، وفي اطار التسابق لا التصارع ، والا تنزلق هذه القوى وتذهب بعيدا في الانشغال بتناقضاتها الثانوية ، الى الحد الذي تصبح معه مبددة لقواها ، ومدمرة لطاقاتها وشاغلا لها عن الانصراف الى النضال ضد التناقض الاساسي الكبير ، المتجسد في تحالف الصهيونية والامبريالية والرجعية . ولا شك انه في المرحلة الراهنة ، حيث يظهر هذا التحالف على اقوى ما يكون في ضراوته ، وتآمره على الامة العربية ، وحيث تقف منظومة الدول الاشتراكية الى جانب العرب في مواجهة العدوان ، بحكم مصالحها ومعاداتها لدول المعسكر الرأسمالي الامبريالي ، وباعتبار ان الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، لم تعد كما كانت بالامس ، مع منطق الرفض والتنكر الحذّي للقومية العربية والوحدة[٢٠] ، ومادامت تركز على مقاومة الامبريالية والرجعية ، فمن الضرورة الملحة ، ان تلتقي قوى اليسار القومي الاشتراكي ، مع قوى اليسار الماركسي وكل القوى الوطنية لتشكل جبهة واحدة ضد قوى التحالف اللئيم الظالم بين الصهيونية والامبريالية والرجعية .

ان التاريخ والجماهير الكادحة ، والاجيال الصاعدة ، لن تغفر للقوى الوطنية والتقدمية ، ان هي تناست واجبها الاول ، في تذليل الصعوبات ، وازالة العقبات ، من طريق تضامنها ،

وان هي قصرت عن فهم حاجات المرحلة ومستلزماتها ، وتقاعست في توحيد جهودها . وان هي بالتالي لم ترتفع الى مستوى التحديات والاخطار المحدقة بالامة العربية .

٤ - لقد أشرت فيما سبق ، الى ان الحزب كان يحرص ، على الاستقلالية والتميز ، وعلى ان يكون مجددا لا مقلدا ، مبدعا لا تابعا . وأود في هذه الفقرة ، ان أشير الى سعيه ومحاولاته ، تجاوز التيارات والمنطلقات الايديولوجية المعاصرة ، والمرتبطة بكلا النظامين : الشيوعي والرأسمالي . . . يقول الاستاذ عفلق «ان حركتنا اول من نادى بالحياد عام (١٩٤٨) وربطته بفلسفتها ، فلسفة القومية ، التي ترفض النظام الراسمالي ، والديمقراطية الغربية التي انجبت الراسمالية ، وترفض الشيوعية كنظام ، وتترك المجال حرا ، لظهور الثورة الحقيقية التي لا تعسف فيها ولا اصطناع ، والتي تنسجم فيها الوسيلة مع الغاية ، اذ ان الشيوعية لم تستطع ان تحافظ على حرية الانسان . وصيغه القومية الجديدة ، لا تفرط بحرية الانسان ، بل تغذي انسانيته ، وتنشد الثورة لنفسها وللعالم ، ولا تضحي بالمثل من أجل ثورة مادية[٢١] . على اننا بصورة عامة ، نستطيع القول ، ان الحزب حاول ان يتميز عن الشيوعية في عدة أمور منها : الاهتمام بحرية الفرد وبقيمته الانسانية ، اكثر من اهتمام الشيوعية بذلك . واعتبار القومية حقيقة حية ، وليست مرحلة عابرة ، وان الشعور القومي ، حافل بالقوى الايجابية ، وحافز على التضحية وخدمة الانسانية ، وليس عاملا على اثارة الحقد والتعصب والحروب . ومنها ان الاشتراكية يمكن تحقيقها على الصعيد القومي

العربي ، وبأسلوب منسجم مع واقع العرب وظروفهم الاجتماعية السياسية والفكرية . بمعنى ان الاشتراكية التي نادى بها الحزب ، وكان يصفها احيانا «بالاشتراكية العربية» تعني الطريق العربي الى الاشتراكية . ومنها نقد نظرية المادية التاريخية ، ورفض مبالغتها في اعتماد العامل الاقتصادي والمادي في تفسير تطور المجتمعات ... وكذلك اهتمام البعث بالتراث والحداثة معا في حين ان الشيوعيين يستخفون بالتراث ... الخ .

هذا ولقد كان في بعض الكتابات السابقة للمؤتمر التأسيسي تشديد زائد على الجانب الروحي ، كالقول «بأن الروح هي الاصل في كل شيء ؛ الدافع الروحي العميق لا يسيطر على المادة ، والوسائل فحسب ، وانما يخلقها ايضا»[٢٢] . غير ان هذا الرفض لنظرية المادية التاريخية ، كما توضحه الكتابات الاخرى ، لا يعني تبني المثالية الروحية ، بشكلها المجرد الجامد ، كما كان الامر لدي بعض المفكرين المثاليين او المحافظين ، وانما الاهتمام بما كان منها ايجابيا يعزز الشعور القومي ، ويكسب الشخصية العربية المزيد من القوة والمناعة ، في وجه الدعوات الاممية ، بنوعيها الديني واليساري ، وبحيث تخلق بالفعل جيلا عربيا جديدا ، او طليعة ثورية قادرة على حمل رسالة البعث التاريخية .

٥ ـ في التراث الفكري للمرحلة التأسيسية ، لا نجد دراسات تحليلية علمية مفصلة للواقع الطبقي للمجتمع العربي ، ولا تبنيا لفكرة الصراع الطبقي ، بل مهاجمة الاقطاع والرأسمالية والفئات الحاكمة الفاسدة ، والدفاع عن الطبقات الشعبية المحرومة ، بصيغ مبدئية

عامة . كما اننا لا نجد تبنيا للنظرية الجدلية «الديالكتيك» بالشكل الذي وضحته الماركسية ، بل ملامح بسيطة وعبارات عامة بعيدة عن «المادية التاريخية» وردت في مقال عن ان «الجيل الجديد لا يوجد الا متى وجدت فكرته ، كذلك الجيل القديم لا يموت ما لم تمت روحه وتقاليده ، او بالاحرى ، ما لم تقتل بالروح التي تنفيها . . . ولا نهضة الا من الداخل ، تنبعث منه لتنفيه وتستكشف اتجاهه لتعاكسه . والجيل الجديد سيخرج من الواقع الفاسد ، ولكنه سيكون نقيضه ، سيولد منه ، وينفصل عنه ، وهو نتيجة للالم»[٢٢] .

على ان الحزب فيما بعد يقرر «ان منطلق التفكير القومي الاشتراكي العلمي في التحليل الاجتماعي والاقتصادي ، هو منطق جدلي ، ينطلق من وجود تناقض في المجتمع القومي ، ووجود صراع بين الطبقات»[٢٦] .

٦ ـ صحيح ان الحزب في مرحلة الاربعينات ، كان يمارس نضال الحرية يوميا . بينما كان يمارس نضال الوحدة في مناسبات محدودة ، ويمارس النضال الاشتراكي بنسبة أقل من النضال في سبيل الوحدة والحرية . وصحيح ايضا انه لم يكن ثمة تخطيط مركز ، ولا استراتيجية مرسومة ، لتحقيق هذه الاهداف الاساسية ، الا انه خاض معارك صغيرة وجزئية كثيرة ، شكلت مع مرور الزمن وبالتراكم ، خطوات مهمة وكبيرة ، في طريق الوصول الى الاهداف الاساسية ، وذلك لانها كانت مرتبطة بحاجات المرحلة ، وكانت متواصلة وقابلة للتحقيق . والحق انه لو لم يفعل ذلك ، لما استطاع الصمود والتقدم ، ولتحولت افكاره

وشعاراته الى مقالات ادبية تضيع في بطون الكتب وزوايا التاريخ ، ولتحول تنظيمه الى قوة مثالية ، تدور في خارج فلك الاحداث ، ولا تلبث ان تضمر وتتلاشى كلما ابتعدت عن مجرى الاحداث الحية ، والحاجات المرحلية .

هذا ولو ان الحزب بالمقابل لم يفطن ، بين حين وآخر ، الى خطر الانزلاق والغرق في تفاصيل الاحداث اليومية والمطاليب الآنية والمحلية ، من دون الارتباط بالاهداف الاساسية في الوحدة والحرية والاشتراكية ، لما استطاع كذلك ان يصمد ويتقدم في مسيرته الطويلة . وأخيرا وليس آخرا ، فأن الحزب قد تمكن بالمعاناة والممارسة النضالية ، وبالنقد والنقد الذاتي ، والانفتاح على الفكر المعاصر وحركات التحرر في العالم ، تمكن من تعميق منطلقاته النظرية وتطويرها ، وإغناء حركة الثورة العربية المعاصرة .

هوامش الفصل الثالث

(١) كتاب «احاديث البعث العربي» مجموعة مقالات لعدد من البعثيين الاوائل وانتشر في العراق على ما يبدو باسم البعث القومي للامة العربية . ثم «القومية العربية وموقفها من الشيوعية» بقلم الاستاذين عفلق والبيطار . اما مقالات واحاديث الاستاذ عفلق في الاربعينات فقد جمعت في كتابين هما «في سبيل البعث» ثم في «معركة المصير الواحد» في اولهما مئة واربع عشرة صفحة ، وفي ثانيهما ثماني صفحات ، وما بقي منهما كتب بعد الاربعينات . وكذلك فقد نشرت الافتتاحيات الاستاذ عفلق في «البعث» بين ١٩٤٦ و ١٩٤٨ في كتاب «في السياسة العربية» ، ومع ان معظم تلك الافتتاحيات تتعلق بامور سياسية ، فانها تتضمن ايضا بعض الافكار النظرية .

(٢) في سبيل البعث ، ص ٢٦ .

(٣) في سبيل البعث ، ص ٢٧ .

(٤) في سبيل البعث ، ص ٨٢ .

(٥) المادتان ٣ و ٢٢ من الدستور .

(٦) المبدأ الاول من المبادىء الاساسية في الدستور .

(٧) المادة ٤١ من الدستور .

(٨) المادة ٥ من الدستور .

(٩) المادة ٤ من الدستور .

(١٠) المواد ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٧ من الدستور .

(ظهرت في المؤتمر التاسيسي تيارات متطرفة واخرى معتدلة حول الاشتراكية فطالب بعضهم باشراف الدولة وتدخلها الى ابعد الحدود بينما طالب المعتدلون بحرية اوسع للافراد) .

(١١) للاطلاع على مزيد من التفصيل حول هذا الترابط راجع كتاب «في الثورة العربية» للمؤلف ـ الطبعة الرابعة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ من الصفحة ٢٥ الى ٦٠ .

(١٢) المادة ٦ من الدستور .

(١٣) في سبيل البعث ، ص ٢١ .

(١٤) في سبيل البعث ، ص ٥٥ .

(١٥) نفس المصدر السابق ص ٥٧ .

(١٦) في سبيل البعث ، ص ١٣٥ .

(١٧) بيـان ١١ ايار ١٩٤٥ حيث صـدر بعد عـدوان الشيوعيـين عـلى بعض البعثيـين واصدقائهم بالرصاص والمدى : بمناسبة احتفال الشيوعيين بذكرى انتصار فرنسا والاتحاد السوفيتي على المانيا . نضال البعث ، الجزء الاول ـ ص ٨٨ .

(١٨) المادية التاريخية ترى ان الاحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية والبنى الفوقية وتطور المجتمعات تنشأ عن اسباب واوضاع اقتصادية .

(١٩) معركة المصير الواحد ، ص ٥٩ .

(٢٠) ان تطور الاحداث والتفاعلات السياسية والفكرية في خلال عشرين سنة الماضية ، ادت الى تخفيف حدة الصراع بين قوى اليسار القومي واليسار الاممي . وللاطلاع على سياق التطور بينهما راجع ص ٧٦ ـ ٨٧ من كتاب «حول الوحدة العربية» للمؤلف ، الطبعة الثانية ، دار الطليعة ١٩٧٤ .

(٢١) في سبيل البعث ، ص ١١٢ .

(٢٢) في سبيل البعث ، ص ١٦٣ .

(٢٣) في سبيل البعث ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

(٢٤) ص ٢٣ من المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس .

(٢٥) للاطلاع على مزيد من الوضوح حول الرسالة ومنطلقاتها العلمية وسماتها وآفاقها العربية والانسانية والاخلاقية والحضارية والخالدة المتجددة . راجع كتاب «رسالة الامة العربية» للمؤلف ط . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ حزيران ١٩٧٨ ـ بيروت .

الفصل الرابع

الجانب التنظيمي

١ ـ البداية :

قبل ثلاثة وثلاثين عاما ، كان حزب البعث العربي الاشتراكي ، بذرة صغيرة ، او مجرد افكار بسيطة تعبر عما في تلك المرحلة من قلق وأمل وطموح رغم بساطتها وافتقارها الى التبلور والوضوح . ومن خلال الممارسة النضالية الحية ، ومع مرور الزمن ، اخذت الفكرة البذرة ، تختمر وتتبلور ، وتتلمس طريقها الى النور . وفي مطلع الاربعينات ، التقى حولها افراد قلائل لم يتجاوزوا اصابع اليد عددا . وراحوا يعملون معا على اساس من التنظيم العفوي البسيط . وما هي الا سنوات معدودة ، حتى تكاثروا وأصبحوا عشرات فمئات[1] . والحق انهم وجدوا في افكار البعث ضالتهم المنشودة . لم يكونوا هم غرباء عنها ، ولم تكن هي غريبة عنهم . بل كانت معبرة عما يشعرون به ويتحسسون بضرورته . ذلك ان هذه الافكار ، ما كان لها ان تؤثر فيهم ، وتفعل في نفوسهم فعل السحر ، لو لم تعبر بصدق وعمق ، عن تطلعاتهم ومشاعرهم الوطنية والقومية .

بل ربما نستطيع القول ، من دون التهوين من شأن القادة ودورهم ، ان هذه الافكار ، ما كان لها ان تنجح بالشكل الذي نجحت فيه ، لو ظهرت في غير الزمان والمكان اللذين ظهرت فيها . لان الفكرة الجديدة كالبذرة الصالحة ، لا تنمو الا في ارض خصبة ، ملائمة لها ، وفي ظروف مؤاتية لنموها . لقد بدأ البعثيون الاوائل ، وأكثريتهم الساحقة من الطلبة ، يمارسون نشاطهم ، ليس بنشر افكارهم والتبشير بها ، واثارة المناقشات حولها فحسب ، وانما بالمشاركة الفعلية في التظاهرات والمناسبات الوطنية المختلفة . ولقد استطاعوا على قلة عددهم ، ان يلفتوا الانظار الى وجودهم ، ودعوتهم الجديدة ، من خلال سلوكهم ، ومناقشاتهم المتميزة بالاخلاص والصدق ، وحرارة الايمان . ولا ابالغ اذا قلت : كان الواحد منهم اذا تحدث عن مبادئه ،

او تحرك من أجلها ، تحس وكأنه صوفي ، واثق من سلامة دعوته ، قلبه عامر بالامل والتفاؤل ، ونفسه مترعة بالثقة المطلقة . يتكلم بحماس المؤمنين ، ويتحرك باندفاع الثوريين . يعمل للمستقبل البعيد ، بصبر ونَفَس طويل ، لا أثر فيه للوصول والاستعجال . يتصرف كما لو كان مسؤولا وحده عن تحقيق اهدافه الضخمة ، ولا يبالي بساخر او مستهزىء ، بل يضاعفان فيه الهمة والعزيمة . آلام النضال ومتاعبه ، تزيده عنادا وصمودا في عقيدته ، فتصبح هذه بلحمه ودمه وجزءا من كيانه ، توجّه سلوكه وتؤثر بقوة في مسيرته ومجرى حياته . ثقته بنفسه وبأمته تامة عظيمة ، ويقينه بصدق مبادئه وقيادته ، مطلق وعميق . وكانت الروح الرفاقية ، القائمة على الاخوة والمحبة ، قوية نامية ، بعيدة عن آثار الانتهازية والمناورة ، وتسقط الاخطاء وتجميعها لأغراض ذاتية .

ولو رجعنا الى اقدم ما كتب حول الصفات والشروط المطلوب توفرها في الجيل الجديد ، المؤهل لبناء حركة البعث ، وحمل رسالته ، لتبينت لنا المنطلقات والاسس التنظيمية لهذه الحركة ، ومنها العمل على اساس الايمان بعقيدة واضحة ، والحماسة لها ، والنضال الصلب في سبيلها ، الى جانب الصراحة والصدق والتزام جانب الحق . ففي مقال عن «عهد البطولة» يرد ما يلي : «ان صفحة الضعفاء والنفعيين والجبناء ، يجب ان تطوى ، وتحل محلها صفحة جديدة ، يخطها الذين يجابهون المعضلات العامة ، ببرودة العقل ولهيب الايمان ، ويجاهرون فأفكارهم ، ولو وقف ضدهم أهل الارض جميعا» . كما يصف النشء الجديد ، الذي يتأهب لحمل عقيدة البعث ومبادئه بقوله «هم صدق الاطفال وصراحتهم ، وحياتهم لا فرق بين باطنها وظاهرها ، قساة على انفسهم ، قساة على غيرهم ، غايتهم الحقيقة ، لا انفسهم ، واذا تبينوا الحق في مكان ، أنكر من أجله الابن اباه وهجر الصديق

صديقه»[٢] .

وفي ذكرى الرسول العربي يصف اعضاء حركة البعث بقوله «نحمل رسالة لا سياسة ، ايمانا وعقيدة ، لا نظريات وأقوالا»[٣] .

اما في مقالة عن الجيل الجديد فيقول «العمل ليس عاديا آنيا ، بل تاريخي ، وليس سياسة بل رسالة ، لانه مكلف بتصحيح انحراف عصور عديدة ماضية ، وتهيئة انبعاث للامة ، يؤتي أكله في عصور عديدة مقبلة . وليس ينجع فيه جهد افرادي وأسلوب سطحي ، واعداد مرتجل ، فلابد اذن من جيل بكامله مهيأ لان يبدع في النضال حتىٰ يستمر فيه الى نهايته . . ومن العبث ان ننتظر ظهور هذا الجيل اذا لم تظهر فكرته»[٤] .

وفي مقدمة الدستور ورد ان «الحزب فكرة (مبادىء) وروح (ايمان) تتجسدان في افراد وتنتشران في جمهور . . . وان فكرة حزب البعث قد نبتت من حاجات العرب لتمثل امانيهم وتهيء لهم سبيل الانبعاث» .

وبعد اقتناع البعثيين الاوائل بهذه المنطلقات ، وايمانهم بالجماهير وبالتنظيم الطليعي ، وبالنفَس الطويل في النضال ، راحوا يخوضون المعارك الجزئية والصغيرة المتتالية ، والمرتبطة في الوقت نفسه ، بأهدافهم وشعاراتهم الجديدة في الوحدة والحرية والاشتراكية . وتمكنوا بالصبر والمثابرة ، من بناء كيانهم الحزبي لبنة لبنة ، ومن أن يتقدموا نحو أهدافهم خطوة فخطوة .

ب ـ الصيغ التنظيمية وتطورها :

● بدأ تسجيل اسماء المرتبطين بالحزب منذ عام ١٩٤١ ، وبلغ عددهم في العامين الاولين ، حوالي خمسة وعشرين طالبا موزعين في حلقات . ثم

تكاثروا فيما بعد وأصبح لكل حلقة مسؤول عنها ، وهو أنشط الاعضاء فيها ، يجمع منهم رسوم الانتساب وقت اداء قسم الانتماء للحزب(*) . وبما انهم يصبحون اعضاء عاملين بعد القسم مباشرة ، فانه يقوم بجمع الاشتراكات الشهرية المفروضة على كل منهم حسب قدرته المادية ، وبتبليغهم مواعيد الاجتماعات والتعليمات الحزبية ، وهي غالبا ما تكون حول الاعداد لتظاهرة والتخطيط لها ، او حضور ندوة حزبية ، او معالجة وسائل الكسب الحزبي لعناصر جديدة .

لقد جمد العمل التنظيمي بعض الوقت ، ثم استؤنف في عام ١٩٤٣ . واذكر ان عدد البعثيين في ثانوية التجهيز الاولى وحدها بلغ في عام ١٩٤٤ خمسة وأربعين طالبا ، معظمهم في القسم الداخلي ومن ابناء الريف . هذا وقد كان الحزب يشجع اعضاءه على الانتساب الى الاندية الرياضية والثقافية والجمعيات النسائية ويحثهم على النشاط في انتخابات الطلاب والمعلمين ، والهيئات المهنية والنقابية المختلفة .

- لم يكن للاجتماعات ضبوط جلسات حتى ذلك التاريخ ، كما لم تكن هنالك تقارير مالية حسب الاصول المتبعة ، وكان لكل عضو بطاقة حزبية صغيرة بحجم ٧×١١ سم تقريبا ، كتب عليها اسم الحزب وشعاره واسم العضو ورقمه الحزبي المتسلسل . وكان الاستاذان عفلق والبيطار قد تفرغا للعمل الحزبي في تشرين الاول من العام ١٩٤٢ ، وكانا يحضران في حفلات القسم والاجتماعات الموسعة ، لتوضيح موقف سياسي معين ، يستدعي التظاهر ، والقيام بنشاط ملحوظ . ونادرا ما كانا يحضران اجتماعات الحلقات . وكان يسود الاجتماعات جو من الديمقراطية واحترام القرارات الحزبية .
- في بداية عام ١٩٤١ وبمناسبة اضراب دام شهرا ضد السلطة الفرنسية ،

اصدر الحزب بيانا موقعا بإسم «الاحياء العربي» ثم تلته عشرة بيانات اخرى . وبمناسبة ثورة رشيد عالي الكيلاني في آيار شكلوا ما يعرف بإسم «حركة نصرة العراق» . وفي مقال للاستاذ ميشيل عفلق عام ١٩٤١ بعنوان الايمان ، وردت عبارة اهداف البعث . ثم استقر اسم الحزب وتسميته بـ «البعث العربي» في عام ١٩٤٣ ، كما ظهر في هذا العام الربط بين الوحدة والحرية وشعار «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» . وأصبح يردد في الاجتماعات الحزبية في العام الذي تلاه . ومن هنا يعتبر بعض الرفاق المؤسسين ان التأسيس الفعلي للحزب في عام ١٩٤٣ .

اما لفظة الاشتراكي ، فقد أضيفت الى اسم الحزب على أثر الدمج بين حزبي «البعث العربي» و «العربي الاشتراكي» في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٥٢ ، مع بقاء دستور حزب البعث من دون اجراء اي تعديل عليه[٦] .
وفي نيسان من عام ١٩٤٥ بدأ باصدار نشرات داخلية ودورية للاعضاء . وكانت اول نشرة بعنوان «رأينا في ميثاق الجامعة العربية» . وفي عام ١٩٤٩ أصبحت هذه النشرة تصدر بإسم «نضال البعث العربي» .

- وفي هذا الوقت ايضا من عام ١٩٤٥ افتتح الحزب اول مكتب متواضع له في حي القنوات بدمشق (خلف القصر العدلي حاليا) ، من دون ان ينتظر الموافقة على منحه ترخيصا رسميا ، رغم مطالبته المتكررة بذلك . ولم تمنحه الحكومات المتعاقبة هذا الترخيص ، الا بعد زوال الحكم العسكري لأديب الشيشكلي عام ١٩٥٤ م . وكان الحزب قد تقدم بطلب الحصول على امتياز لاصدار صحيفة باسم «البعث العربي» منذ عام ١٩٤٣ ، ولكن الفئة الحاكمة ، بقيت تماطل وتمانع ، حتى بداية تموز عام ١٩٤٦ حيث سمحت بذلك ، بعد ان اشترطت عدم تسميتها بإسم الحزب . وأصبح الاستاذ عفلق مديرها السياسي والاستاذ البيطار مديرها المسؤول[٧] .

● **لقد كان التنظيم في الاربعينات بدائيا وضعيفا للغاية ، وخاضعا للصيغ العفوية البسيطة والتجريبية ودون مستوى طموحه وعقيدته الثورية .**

فلم يكن ثمة خلايا انصار ومرشحين وعاملين ، وأمناء سر منتخبين على اساس هرمي ، وانما فرق حزبية بعضها صغير يقل عددها عن العشرة ، في حين يصل بعضها الآخر الى الخمسين . كما ان مسألة التسلسل لم تكن قائمة ، بل كان الاعضاء وأقلهم شأنا ، يستطيع اللقاء مع عميد الحزب والتحدث اليه ، بمختلف الشؤون الحزبية والسياسية . ولو تتبعنا على سبيل المثال ، أسلوب توقيع البيانات والنشرات الحزبية ، لتبين لنا من خلال تنوعها وتعدد صيغها ، مدى العفوية والتجريبية في مجال التنظيم . فكانت توقع باسم «مكتب البعث العربي» منذ عام ١٩٤٣ ثم وردت تسمية «حزب البعث العربي» لاول مرة في رسالة موجهة الى المجلس النيابي في ١٥ نيسان ١٩٤٥ وكانت البيانات توقع أحيانا باسم «مكتب البعث العربي» او «حزب البعث العربي» من دون اسماء . بينما كانت توقع في أحيان اخرى باسم ميشيل عفلق او صلاح الدين البيطار ، او كليهما معا ، تحت عبارة «عن مكتب او عن حزب البعث العربي» . وقد تحذف هذه العبارة وتبقى الاسماء وحدها . ليس هذا فحسب بل كان بعض المنشورات يحمل عدة تواقيع من اقدم البعثيين وأكبرهم سنا .

وفي المذكرة التي قدمها الحزب الى وزارة الداخلية في تموز من عام ١٩٤٥ طالبا فيها منحه الترخيص بالعمل الرسمي ، نلاحظ انها كانت موقعة من ثلاثة اشخاص بإسم «الهيئة المركزية التنفيذية» ، غير ان هذه التسمية لم تكن معبرة عن واقع تنظيمي قائم ، وانما كانت مجرد تسمية ، فرضتها شروط تكوين الاحزاب في تلك المرحلة ، لتحديد المسؤولين الرسميين عن نشاطها وقيادتها .

ويذكر بهذه المناسبة ان كثيرين من الاعضاء ، كانوا يفضلون تسمية الحزب بإسم الحركة ، لكي يتميز عن الاحزاب السياسية التقليدية ، ويعطي في نظرهم مفهوما اعمق وأشمل من مفهوم الحزب ، وبحيث لا تستأثر الامور السياسية باهتمامه ونشاطه .

- ان لظاهرة توقيع البيانات والمنشورات الحزبية ، من عدة اعضاء قياديين ، وعدم حصرها بالمسؤول الاول الرسمي في قيادته ، ان لهذه الظاهرة اكثر من سبب . ولعل اهمها :

حرص الحزب على الطابع الديمقراطي والقيادة الجماعية . ونبذ منطق القائد الزعيم الذي ينفرد في تقرير الامور ، وتطغى سيطرته على الحزب ، هذا المنطق الذي حاولت ترويجه بعض القوى السياسية كالقوميين السوريين ، و (الحزب التعاوني الاشتراكي) والكتلة الوطنية في محاولتها فرض السيد شكري القوتلي زعيما للبلاد ، ومن الاسباب ايضا ، ان حزب البعث العربي الاشتراكي ، اراد ان يطرح الى الشعب اسماء جديدة ، تكتسب مع مرور الزمن صفة شعبية ، ووزنا مرموقا بين المواطنين ، من خلال التعرف اليهم بورود اسمائهم في هذه البيانات . كما اراد مراعاة الواقع الاجتماعي ومجاراته ، لان القفز فوق تقاليد المجتمع ، وتجاهل بعض مقاييسه الموروثة ، كانا يقودان الى ان يضع الحزب نفسه في مكان لا يستطيع معه ان يؤثر في هذا المجتمع ، وأن يرفع بالتالي من مستواه المتخلف الى ما هو ثوري متطور .

- لم يكن للحزب قبل المؤتمر التأسيسي ، نظام داخلي محدد وقيادة منتخبة ، ولا مجلس حزبي منتخب ، رغم انه كانت هنالك اجتماعات عامة ، تعقد في مقر الحزب بدمشق ، او في مكان آخر ،

ويحضـرها عـادة ممثلون عن مختلف المحـافـظات ، ممن هم انشط البعثيـين وأقدرهـم عـلى الحركـة والعمل . وكـان رؤساء الفـروع يقدمون في اجتماعات مجلس الحزب (وهو شبيـه بالمؤتمر) تقاريـر مفصلة عن الاوضاع الحزبية والسياسيـة والشعبية في منـاطقهم . ويشيرون فيها الى ملاحظاتهم ومقترحاتهم التي يستقـونها عادة من ممارساتهم العملية ، ثم يصار الى تنسيق هذه المقترحات وتعميم ما يمكن الافادة منها في الفروع الاخرى . غير ان الحديث عن أسس التنظيم ومنطلقـاته النـظرية ، وعن أهميتـه وضرورتـه للحركـة الثورية ، مع صياغة نظام داخلي متطور ، ومتأثر بأنظمـة داخلية لحركات ثورية عالمية ، قد جرى في الخمسينات وبعدها ، كما ان تشكيل قيادة قومية تجسد فكرته ومنطلقاته القومية ، لم توجد الا بعد مضي اربعة عشر عاما من تأسيسه الفعلي ، اي في عام ١٩٥٤ حيث أضيف بالتراضي ، الى القيادة القومية الثلاثية في القطر السـوري (ميشيل عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحوراني) ، أثنان من الاردن وواحد من كل من العراق ولبنان . امـا القيادة المنتخبة من مؤتمر قومي ، يحضره ممثلون شرعيون منتخبون من القواعـد الحزبيـة في أقطارهـم ، فلم تخرج الى حيز التنفيذ الا عام ١٩٥٩ م .

- من نتائج ضعف التنظيم في الحزب ، ان انتشاره في محافظات القطر السوري ، وفي الاقطار العربية الاخرى كان عفويا ، لا يستند الى دراسة وتخطيط ، بل يعتمد على مبادرة الاعضاء الذين انتموا اليه اول الامر ، عن طريق وجودهم في الجامعة او المدارس الثـانوية بدمشق . ولهذا نلاحظ في المناطق التي وجد فيها حزبيون فعالون نشيطون ، انتشر الحزب أكثر من انتشاره في المناطق التي لم يتح لها

مثل هؤلاء . غير ان انتشار الحزب في المدن الصغيرة وفي اوساط الريف ، كان أسهل وأوسع من انتشاره في المدن الكبرى ، حيث كانت تسيطر طبقة التجار وذوي المصالح الاقتصادية المرتبطة بالحكم ، وأجهزة السلطة البرجوازية . كما يلاحظ من جهة ثانية ، ان الاعضاء الذين انتسبوا اليه في مرحلة التأسيس ، كانوا في أكثريتهم الساحقة ، من الطلاب والمثقفين ، بينما كانت نسبة العمال والفلاحين ضئيلة جدا . في حين ان المسألة معكوسة في الحزب العربي الاشتراكي في محافظة حماه ، حيث كان يضم اعدادا كبيرة من الفلاحين والطبقة الكادحة . هذا وبغضّ النظر عن افتقاره الى المنطلقات النظرية الواضحة ، وعن اهتمامه بمسألة النجاح في الانتخابات النيابية والوصول الى البرلمان ، الامر الذي دفعه الى التساهل كثيرا في قبول الاعضاء والانصار والاعتماد على تجميع الاعداد الكبيرة قبل القيام بعملية التوعية والربط العقيدي ، وبغض النظر ايضا عن نجاحه في استقطاب قاعدة واسعة من الفلاحين وضرب الاقطاعيين ، قد اقتصر على محافظة حماه ، فان نجاحه هذا عبّر عن تجربة عملية حية ، أكدت امكانية التفاف الجماهير الكادحة حول حركة عربية تقدمية اشتراكية . هذا ومازلت اذكر ان من ابرز المبررات الرئيسية لتحقيق الدمج بين حزبي البعث العربي ، والعربي الاشتراكي ، في عام ١٩٥٢ هو ان الواحد منهما يكمل الآخر . فالاول يمتلك العقيدة الثورية والرؤية الواضحة ، ويفتقر الى القاعدة الشعبية الواسعة . بينما الحزب الثاني يملك هذه ويفتقر الى تلك .

وعلى الرغم من ان عميد الحزب وعد في في الكلمة التي القاها في المؤتمر التأسيسي بأنه سيبذل كل الجهود لجلب الوف العمال

والكادحين الى الحزب في المؤتمر القومي القادم ، فان نسبة المثقفين من البرجوازية الصغيرة ، وبخاصة في المراكز القيادية ، بقيت طاغية الى فترة طويلة ، امتدت حتى الخمسينات ، بينما ظل تزايد الطبقة العاملة بطيئا .

ولو أردنا التعرف الى اسباب هذه الظاهرة ، لوجدنا بعضها يرجع الى كون البعثيين الاوائل من المثقفين ، ولم يكتسبوا بعد الخبرة المطلوبة للعمل بين الجماهير . كما ان الطبقة العاملة في القطر السوري ، كانت في دور التفتح والنهوض ، ضعيفة الوعي والتماسك ، ويصعب عليها فهم تلك المباديء بالصيغ الفكرية والنظرية غير المبسطة . أضف الى ذلك ان معظم قياداتها كانت مرتبطة في تلك المرحلة ، بقيادة الطبقة البرجوازية الحاكمة ، وتتعاون معها .

على ان تبسيط منطلقات الحزب النظرية ، وإنزالها الى مستوى الجماهير ، وتجسيدها في مواقف عملية ، تمس قضاياها الحياتية ، ستتم في مراحل لاحقة بجهود عناصر حزبية ، وعت مباديء الحزب وعاشت في اوساط الطبقة الكادحة ، واكتسبت الخبرة والقدرة على عرضها والتحدث عنها بأسلوب واضح ومبسط .

● وبمناسبة الكلام عن أرضية الطبقة التي استند اليها الحزب منذ نشأته ، تجدر الاشارة الى انه ، في مرحلة الاربعينات ، لم يكن مهتما بالقطاع العسكري رغم ان السلطة استخدمت الجيش ضد الحركة الشعبية التقدمية لفرض المرسوم (٥٠) في عام ١٩٤٦ ولتزوير الانتخابات في العام الذي تلاه ، ورغم المعاناة التي لقيها الحزب من جراء انقلاب حسني الزعيم عام ١٩٤٩ وخيبة أمله من تسلم الجيش

مقاليد الحكم . ونستطيع القول ان اهتمامه بهذا القطاع ، بدأ بالظهور والنمو في الخمسينات ، حيث كثرت الانقلابات العسكرية ، وفرض العسكريون وجودهم السياسي على البلاد . وأصبح من غير المجدي تجاهلهم ، او تركهم وشأنهم ، ولا سيما بعد ان برزت ، في أثناء تسلمهم الحكم ، أخطاء جسيمة ، بل وانحرافات كثيرة ، مست الحياة الديمقراطية في الصميم ، وعطلت دور الجماهير والاحزاب والمنظمات الشعبية . وأضعفت من قوة الجيش وتماسكه ، وعجزت بالتالي عن تحقيق الاهداف القومية ، والمنجزات التقدمية التي أعلنت عن التزامها بالعمل على تحقيقها . هذا ونستطيع القول ايضا ان اهتمام الحزب بالعسكريين تصاعد بعض الشيء ، بعد اندماج العربي الاشتراكي بحزب البعث ، حيث كان من الملحوظ ان قادة العربي الاشتراكي ، كانوا اكثر اهتماما من سواهم بالقطاع العسكري في تلك المرحلة .

● لعل ضعف الجانب التنظيمي في حياة الحزب بالقياس الى قوة فكرته ، قد خلق نوعا من الخلل وعدم التوازن بين الاداة (الحزب) وبين الغاية (الاهداف) . فنتج عن ذلك ضعف التخطيط المركز في النضال والعمل الحزبي ، والانجراف في أحيان كثيرة وراء المعارك الجزئية والمحلية ، بأكثر مما يجب ان يذهب اليه الحزب . كما نتج عن ذلك بطء الاستجابة للاحداث والركض وراءها ، ان الحزب لو أتيح له الارتفاع في تنظيمه الى مستوى عقيدته ، منذ وقت مبكر ، لاستطاع ان يتجنب كثيرا من الازمات والعثرات ، وأن يوفر كثيرا من الجهد الضائع ، وأن يحقق بالتالي ، أكثر مما حققه بالماضي .

ج ـ المؤتمر التأسيسي (القومي الاول) عام ١٩٤٧ :

بعد ان تبلورت افكار الحزب وأهدافه الاساسية . وبعد ان فرض وجوده السياسي والشعبي عبر مسيرته النضالية في السنوات السابقة ، كان من الطبيعي ان يتداعىٰ اعضاؤه لعقد مؤتمر تأسيسي ، يضعون فيه تلك الافكار والاهداف بصيغتها النهائية ، ويحددون استراتيجية الحزب وأسلوبه في العمل . ويوضحون سياسته الداخلية والخارجية والاقتصادية والاجتماعية . وكانت اللجنة المكلفة[٨] بوضع مشروع دستور للحزب والملامح الاساسية لنظامه الداخلي قد انجزت اعمالها في نهاية الربع الاول من عام ١٩٤٧ . وفي صباح اليوم الرابع من نيسان لهذا العام ، حضر الى دمشق أكثر من مئتي عضو (٢١٧) من الذين مكنتهم ظروفهم الخاصة من الحضور ، وكان من بينهم بضعة طلاب جامعيين ، من الاردن ولبنان والعراق ، وهذا العدد يعادل نصف مجموع عدد الاعضاء . وعندما تكامل وصولهم الى مقهى الرشيد الصيفي في شارع ٢٩ آيار في تمام الساعة العاشرة ، هتفوا بصوت واحد «امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» ايذانا بافتتاح الجلسة الاولى للمؤتمر .

وتنظيما للمناقشات وادارتها وتسجيلها ، بدأ المؤتمرون عملهم بانتخاب رئيس للمؤتمر وثلاثة أمناء للسر[٩] . ثم القى الاستاذ عفلق كلمة الافتتاح ، هاجم فيها الفئة الحاكمة ، وتحدث عن مفهوم الانقلابية في الحزب . بينما القى الاستاذ البيطار ، البيان السياسي الذي تناول الاوضاع السياسية في جميع الاقطار العربية ، وتعرض للجامعة العربية وموقف الحزب منها . وانتهت الجلسة الاولى بانتهاء المناقشة من البيان . وفي الساعة الخامسة من بعد الظهر ، بدأت الجلسة الثانية ، بكلمة وضح فيها الاستاذ عفلق ، المنطلقات النظرية التي استند اليها مشروع الدستور المقدم الى المؤتمر ، ثم عقدت اربع جلسات أخرى ، ناقش فيها المؤتمرون مواد الدستور والنظام

الداخلي ، وأقروا صيغتها النهائية . وقد ساد الاتجاه القومي الاشتراكي في المناقشات رغم ظهـور بعض الأفكار الـديمقراطيـة الاصلاحيـة والليبراليـة والوسطية وبعض الآراء المتأثرة بالمنطق القومي العرقي او المتعصب لتميز الامة العربية وخصائصها الحضارية . وفي الجلسة الاخيرة ، الساعة الحادية عشرة من مساء الاحـد انتخب الاستاذ ميشيـل عفلق عميـدا للحـزب ، وفـاز بالتزكية . كما فاز بالتزكية لعضوية الهيئـة التنفيذيـة كل من صـلاح البيطار وجلال السيد ووهيب الغانم[١٠] .

وأنهى المؤتمر التأسيسي اعماله ، مع بداية اليوم السابع من نيسـان ، فاعتبر هذا اليوم بداية تأسيس الحزب[١١] . وبما اننا تحدثنا في الفصل السابق عن المنطلقات النظرية التي أقرها المؤتمر ، فاننا نكتفي هنا بالكلام عن الجوانب التنظيمية .

يمكننا القول في هذا المجال ، ان معظم الصيغ التنـظيمية التي كـانت معروفة قبل المؤتمر ، والتي أثبتت التجربة صحتها وسلامتهـا ، قد ثبتت في النظام الداخلي ، كتقسيم الحزب الى فروع وشعب وفرق وخلايا ، مع تحديد شروط الانتساب والعضوية . غير أن هذه الصيغ تبلورت ونمت فيها بعـد وتـطورت في ضـوء التجـربـة والحـاجـات المستجـدة . وراحت تتخلص بالتدريج ، من الاساليب التجريبية والعفوية ، والاجتهادات الشخصية ، والتوجيهات الفردية والشفوية . وبـدأت بعض المكاتب الاسـاسية تـأخذ دورها في حياة الحزب ، كمكاتب التنظيم ، والعمال ، والثقافة والدراسات والسياسي والنسائي والمالي ، والطلاب والدعايـة والنشر وفلسـطين الدائم وغيرها من المكاتب التي استدعت الحاجة وجودها ، في بعض الفروع[١٢] . ونظمت استمارات خاصة للاعضاء ، ولطلبات الانتساب ، حيث تضمنت هذه اسم طالب الانتساب ، ومكان وتاريخ ولادته ، ومؤهلاتـه العلمية ،

ودوافع طلبه الانتساب للحزب ، وارتباطاته السياسية ، وسلوكه وماضيه وميوله وامكانياته النضالية ، وقيمة اشتراكه الشهري ، ورأي العضو الذي رشحه ، مع تزكية اثنين من الاعضاء . وكان طالب الانتساب يبقى عادة تحت الاختبار والتجربة بضعة أشهر ، ثم يستدعى لأداء القسم مع آخرين ، بحضور بعض القياديين والذين رشحوه وزكوه . وبعد ترديد الشعار ، يتلو المرشح للعضوية القسم التالي بصورة منفردة «أقسم بشرفي ومعتقدي ، ان أكون وفيا لمباديء حزب البعث العربي ، حافظا لعهده متقيدا بنظامه منفذا لخططه» . وبعدئذ يلقي رئيس الجلسة ، وهو غالبا رئيس الفرع ، حديثا توجيهيا عن معنى الارتباط الحزبي ، وطبيعة المرحلة الجديدة في حياة العضو ، والمهام الملقاة على عاتقه ، ثم يبلغ اسم الخلية التي ينتمي اليها ، وكيفية ممارسته العمل الحزبي .

كانت القيادة بدمشق تعين أمناء سر الفروع وقياداتها ، وكان هؤلاء بدورهم يعينون قيادات الفرق . وكانت الاجتماعات الدورية للفرق والخلايا اسبوعية على وجه العموم ، وكثيرا ما كانت تعقد اجتماعات موسعة لقيادات الفرق ، او لعدد كبير من الاعضاء في بعض المناسبات . وكانت قيادة الحزب ، عندما تستجد بعض القضايا الاساسية والهامة ، تدعو ابرز العناصر القيادية في الفروع ، لعقد اجتماع بدمشق أو اية مدينة اخرى . وكان يأخذ انعقاده صفة «مجلس الحزب» ، وهي الصفة التي عرفت فيما بعد باسم المؤتمر[١٣] . ويذكر بهذه المناسبة ، **ان ممثلي فرع الاردن مثلا كانوا يحضرون هذه الاجتماعات ، كما يحضرها ممثلو فرع حمص او اي فرع آخر في القطر السوري ، من دون اي اعتبار للحدود السياسية والاعتبارات القطرية .**

وكانت الحياة الديمقراطية السائدة في مرحلة الاربعينات ، تتيح المجال لفتح مقرات علنية للحزب ، من دون الحصول على ترخيص رسمي بها ،

ومع ذلك فقد كان كثير من الاجتماعات الدورية يعقد في منازل الاعضاء .

● كانت استقالة الاستاذين عفلق والبيطار ، وانصرافهما للحزب في نهاية عام ١٩٤٢ اول تفرغ للعمل الحزبي . ولكن مسألة التفرغ هذه ، التي شعر الحزب بالحاجة اليها ، لم تتحقق الا على نطاق ضيق في السنوات الاخيرة من الاربعينات ، وبعد انشاء المكتب الاداري ، حيث لم يتجاوز عدد المتفرغين اصابع اليد الواحدة ، بسبب من ضعف الامكانات المادية التي تعتمد على رسوم الانتساب ، وبعض المشاريع ذات المردود المالي الطفيف[١١] ، وعلى الاشتراكات الشهرية للاعضاء الذين كانوا في أكثريتهم الساحقة من الطلبة والطبقات الفقيرة .

● وبما ان الحزب كالكائن الحي ، ينمو ويتطور ، فقد سار تنظيمه في طريق النضج والتكامل . وتطورت مهام الحلقات والفرق وطبيعة عملها ، حيث أصبحت هنالك اجتماعات خاصة لمناقشة الاوضاع الحزبية والادارية ، والعمل بين الجماهير ، ووسائل كسب الانصار والاعضاء ، ومعالجة العقبات التي تعترض سبيلها . وفرض مدة زمنية لكل عضو كي يقدم فيها نتيجة ما بذله من جهد في مجال الكسب الحزبي . كما خصصت اجتماعات اخرى لمناقشة قضايا سياسية وثقافية ونظرية .

● بعد شهرين ونيف من انتهاء المؤتمر التأسيسي ، اعلن دستور الحزب على الرأي العام ، كما صدر بيان سياسي حول اعمال المؤتمر وقراراته . وبما انهما اصبحا من الوثائق التاريخية الاساسية ، فقد وضعناهما في قسم الملاحق بنهاية الكتاب ، مع مقتطفات من بيانات ووثائق حزبية ، حول بعض القضايا الهامة كقضية فلسطين والكفاح الشعبي المسلح ، والجبهة الوطنية ، وشعار تأميم النفط وغيرها .

د ـ كيفية انتشار الحزب في الاقطار العربية الاخرى :

● نظرا الى ان انتشار الحزب في الاقطار العربية الاخرى ، كالاردن ولبنان والعراق ، بدأ بنهاية المرحلة التأسيسية ، فلابد من الاشارة هنا الى كيفية انتشاره في هذه الاقطار ، بالرغم من ان وجوده فيها بشكل فاعل ومؤثر ، لم يتحقق الا في مرحلة الخمسينات . وبما ان الجزء الثاني من تاريخ الحزب يتناول احداث هذه المرحلة فقد تحدثنا فيه بشيء من التفصيل عن نمو الحزب ونضاله في تلك الاقطار .

ففي لبنان : كان الفرنسيون يعملون على اثارة الخلافات الطائفية واذكائها ، لاطالة بقائهم فيه . وكانوا يسعون لتحريك المخاوف في نفوس المسيحيين ، من انضمام لبنان الى سورية او اية وحدة عربية ، بزعم انهم يصبحون اقلية مغبونة الحقوق . وقد زاد الطين بلة ، ان المسلمين في لبنان ، تبنوا الدعوة الى القومية والوحدة العربية بمنطلقات طائفية . وعندما اضطر الفرنسيون لمغادرة لبنان ، والاعتراف باستقلاله في منتصف الاربعينات ، جرى نوع من الاتفاق الضمني بين السياسين التقليديين ، على التمسك بكيان لبنان بعيدا عن التطلع الى حماية اجنبية او وحدة عربية . وراحوا يقتسمون مراكز الدولة ووظائفها على أساس طائفي ، واستمروا على هذا المنوال حتى الوقت الحاضر . **ولم تستطع الاحزاب المنظمة كالشيوعيين والقوميين السوريين ، احتلال مكانة فعالة ومؤثرة في سياسة لبنان** ، رغم انتشار هؤلاء الاخيرين في انحاء كثيرة منه ، ورغم قيامهم بمحاولة انقلابية عام **١٩٤٩** لتسلم الحكم ، ولكن لم يكتب لها النجاح .

اما بالنسبة الى حزب البعث ، فقد ابتعد عن أجواء السياسيين

التقليديين وتوجه نحو الطلبة . فبدأ اول الامر ببعض السوريين والعرب الذين كانوا يدرسون في الجامعة الامريكية منذ عام ١٩٤٧ . كما ان بعض الطلبة اللبنانيين الذين كانوا يدرسون في جامعة دمشق ، قد اسهموا بنشر افكار الحزب في لبنان بعد تخرجهم . والحق ان الطلبة البعثيين ، نشطوا بتحريك التظاهرات ذات الاهداف الوطنية والقومية ، واكتسبوا خبرة جيدة في قيادتها ، واستطاعوا مع الزمن تكوين خلايا طلابية صغيرة في بعض المدارس الثانوية في بيروت ، ثم طرابلس وصيدا وصور والنبطية وبعلبك وغيرها . وكانوا في نهاية المرحلة ، قد بدأوا يصدرون بعض البيانات بأسماء مستعارة كالشباب القومي العربي ، او القوميين العرب الاحرار ، او الطليعة العربية في لبنان . غير ان نشاط الحزب على صعيد شعبي وانتشاره بين صفوف العمال والفلاحين ، بدأ منذ مهرجان صيدا في آيار من عام ١٩٥٢ . وبعد عامين من هذا التاريخ ، ظهرت اول قيادة حزبية للقطر ، اختارها ممثلون غير منتخبين . والواقع ان استمرار الحياة الديمقراطية ، على الطريقة الغربية في لبنان ، قد ساعد الحزب على التحرك والاستمرار في النشاط والنمو .

أما في الاردن : فبالرغم من ان حكامه كانوا اداة طيعة بأيدي السياسة البريطانية ، الا ان الحركة الوطنية نمت وتطورت لوجود حد أدنى من الحياة الديمقراطية في تلك المرحلة ، ولما كان لنكبة فلسطين عام ١٩٤٨ من أثر فعال في تحريك المشاعر القومية ، وتعميق الوعي القومي بين المواطنين . ولهذا فان الطلاب الاردنيين الذين درسوا في جامعة دمشق ، لم يجدوا صعوبة كبيرة في كسب عدد من الشباب العاملين في الحقل الوطني ، واستطاعوا في عام النكبة ان يتعرفوا على مجموعة ،

كانت تعمل في مجلة «اليقظة الاسبوعية» ، وان يكسبوها بعد عام الى جانب الحزب ، وان ينتشروا بين صفوف العمال والفلاحين . وبعد عامين كان الحزب قادرا على تقديم مرشحين للانتخابات النيابية ، وضمان النجاح لاثنين منهم في برلمان عام ١٩٥٠ م . غير ان اندفاع قيادته نحو التوسع في كسب الاعضاء ، مع الانغماس في قضايا انتخابية وسياسية محلية ، من دون الاهتمام المركز على مسألة التوعية والتثقيف الحزبي ، قد أضعف بنية الحزب التنظيمية ، وأغرى بعض القياديين فيه للتصرف وفق اجتهادات شخصية ، لا تنسجم مع مصلحة الحزب ووحدته ، القومية والفكرية[١٠] .

اما في العراق : فقد استطاعت الفئة الحاكمة فيه ، ان تفرض قبضتها الحديدية على الحكم بدعم تام من الانكليز ، وبخاصة بعد قمعها لثورة مايس (آيار) عام ١٩٤١ ، وتشتيتها لتكتل الضباط القوميين ، بتهمة عدائهم للديمقراطية وميولهم للنازية . وبعد الحرب العالمية الثانية ، فسح المجال لظهور الحياة الحزبية ، فبرز الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الشعب وحزب الاستقلال . وكانت نشأتها على أسس واهية من التنظيم ، كما كانت تتحرك في اطار الانظمة الحاكمة وتمارس احيانا معارضتها برفق ولين . على ان حزب الاستقلال استطاع الحصول على شعبية ملحوظة بعد تبنيه لقضية فلسطين عقب النكبة ، ولمعارضته معاهدة بورتسموث في عام ١٩٤٨ م . ولهذا انتمى اليه عدد كبير من الشباب الذين شكلوا فيما بعد ، الجناح اليساري فيه . ولكن عددا من هؤلاء سيخرج من حزب الاستقلال ، لينضم الى حزب البعث ، عندما اكتشف الفارق النوعي بينهما ، وعندما تأكد ان اهداف البعث تحقق طموحه وضالته المنشودة . ولئن كان بعض الطلبة

العراقيين الذين كانوا يدرسون في جامعات دمشق وبيروت ، وتعرفوا على الحزب وتقربوا منه ، قد أسهموا بنقل شيء من افكاره ونشراته ، عند عودتهم الى العراق ، فان الواسطة الاولى والاهم لانتشار في هذا القطر ، ترجع الى انه في عام ١٩٤٨ وبعدها ، كان بعض الطلبة السوريين وبخاصة من لواء الاسكندرون ، يتلقى علومه في معهد المعلمين وبعض المدارس الثانوية في العراق . وكان قسم من هؤلاء ، مرتبطا بأفكار البعث وعلى صلة بكتبه ونشراته ، فحمل بعضها معه الى العراق ، مثل دستور الحزب وأحاديث البعث العربي ، وذكرى الرسول العربي وغيرها ، وراح يهديها او يعيرها الى زملائه والمقربين منه . وسرعان ما تلقاها النشء الجديد وأقبل عليها بحماسة شديدة . وبعد ذلك بدأت تتكون خلايا حزبية صغيرة بين اوساط الطلبة ، ما لبثت ان نمت وتوسعت في المعاهد والجامعات ، واكتسبت قدرة ملحوظة على اعداد التظاهرات وتنظيمها . ولم تفطن السلطة الى الخطر الكامن في ظهور هذه الخلايا ونموها ، الا بعد عام ١٩٥٢ ، حيث بدأت تراقب البعثيين ، وتعمل على ملاحقتهم والتضييق عليهم ، وبخاصة عندما علمت انهم يصدرون البيانات بأسماء واجهية مثل «الشباب العربي» ويهاجمون فيها سياسة الحكومة بجرأة وعنف ، ويطالبونها برفض المشاريع الاستعمارية كالدفاع المشترك ، وبتأميم النفط[١٦] .

ومن خلال ظروف الضغط والملاحقة ، استنبط الحزبيون وسائل جديدة في العمل النضالي منسجمة مع هذه الظروف المستجدة ، واتقنوا عمليات الاختفاء وايجاد الاوكار والطباعة السرية وتوزيع المنشورات ... الخ .

انطلق الحزب من بغداد الى بعقوبة والرمادي والناصرية والحلة

والموصل وغيرها من المناطق بوساطة الطلبة . على ان معظمهم ، كما في أي قطر عربي ، كان يفقد حماسته ، وربما يتوقف نشاطه ، بعد تخرجه من الجامعة . وكان التنظيم يستند الى رابطة الحي والكلية ، لسهولة اللقاء والاجتماع . والخلية على العموم ، لا تتجاوز خمسة اعضاء ، لها مسؤول ونائب يساعده ، لتبليغ الاعضاء مواعيد الاجتماعات ، او لجمع الاشتراكات وبدلات الانتساب . ولكل عضو رقم خاص . وكانت بعض اللقاءات الحزبية ، تتم في مكتبات او مقاهي معينة ، اعتادوا التردد اليها ، وعرف أصحابها بصداقتهم للحزب . وكانوا في ظروف المراقبة الشديدة ، يجتمعون في أماكن بعيدة عن إثارة الشبهة ، كزورق في نهر ، او مكان مجاور لثكنة عسكرية او مركز حكومي .

وفي عام ١٩٥٠ أرسلوا مندوبين اثنين الى القطر السوري ، بناء على طلب من قيادة الحزب ، لحضور المخيم الذي أقيم في بلودان بقصد التثقيف الحزبي والتدريب الرياضي واجراء التعارف بين الحزبيين من مختلف الاقطار العربية[١٧] .

لقد أصبح للحزب في العراق ، وزن شعبي وتأثير ملحوظ في مجرى الاحداث السياسية بمرحلة الخمسينات ، واستطاع ان يعمم شعاراته وبعض مفاهيمه النضالية التي لم تكن معروفة في قواميس السياسة في ذلك الحين ، كترابط الوحدة والحرية والاشتراكية ، ووحدة النضال العربي ، ورفض المساومة واعتماد الحلول الجذرية ، والحياد الايجابي ، والتركيز على فكرة الانقلابية ودور الجماهير الشعبية . . . الخ . كما أصبح له جريدة داخلية باسم «العربي الجديد» منذ عام ١٩٥٣ صدر منها عددان ، ثم تحول اسمها الى «الاشتراكي» . هذا ومن الجدير بالذكر ، ان الحزب في العراق اهتم منذ نشوئه بالقضايا القومية

وبالطبقة العاملة بشكل واضح وملحوظ ، كما انه في بنيته التنظيمية من أكثر فروع الحزب اهتماما بالانضباط والسرية والتقيد بالنظام الداخلي ، الامر الذي افاده في مجابهة اشرس الانظمة وأشدها قسوة ، وأكسبه القدرة على اعادة بناء نفسه ، ومتابعة مسيرته النضالية ، بعد الازمات والنكسات التي كان يتعرض لها .

هوامش الفصل الرابع

(١) [في طلب الترخيص بممارسة النشاط المقدم لوزارة الداخلية بتاريخ ١٩٤٧/٦/٢ ورد ما يلي : «... فقد اسسنا عام ١٩٤٠ نواة حزب البعث العربي ، وباشرنا التنظيم العلني الواسع عام ١٩٤٣»] .

(٢) في سبيل البعث ، ص ٢٢ .

(٣) في سبيل البعث ، ص ٦٠ .

(٤) في سبيل البعث ، ص ٧١ .

(٥) كانت اولى حفلات القسم في عام ١٩٤٥ واقسم فيها كل من ميشيل عفلق وصلاح البيطار والبعثيون الاوائل .

(٦) بما ان عملية الدمج تمت في مرحلة الخمسينات فقد تحدثنا عنها بشيء من التفصيل في الجزء الثاني من تاريخ حزب البعث ص (٢٨٦ ـ ٢٩١) ـ الطبعة الثانية ، آيار ١٩٧٩ .

(٧) [كانت السلطة تعمد لتعطيل جريدة البعث او مصادرة اعدادها ، بين فترة واخرى لشل تاثيرها ، بحيث لم يصدر منها في النصف الثاني من عام ١٩٤٧ سوى خمسة اعداد] .

(٨) كانت اللجنة مشكّلة من ميشيل عفلق ، صلاح البيطار ، وهيب الغانم ، عبـدالمنعم الشريف وصدقي اسماعيل وجمال اتاسي وعبدالبر عيون السود .

(هذا وتجدر الملاحظة ان المباديء الاساسية التي اقرها المؤتمر التاسيسي في دستور الحزب كانت مدونة ومتداولة باسم «اهداف وغايات» قبل المؤتمر بحوالي عامين) .

(٩) جلال السيد ثم عبدالرحمن الماريديني وشاكر الفحام وعبدالمنعم الشريف .

(١٠) [بعد اربعة ايام اجتمعت اللجنة التنفيذية ، وانتخبت صلاح الدين البيطار امينا عاما للحزب ، ولكنه قلما استخدم هذه الصفة في توقيع الكتب والبيانات الحزبية] .

(١١) بعد ان شدد عبدالناصر من حملته على الحزب في اوائل الستينات اخذ البعثيـون يحتفلون بذكرى تاسيسه واصبح الاحتفال بهذه المناسبة تقليدا متبعا في كل عام .

(١٢) [قبل عام ١٩٤٩ كانت المكاتب المركزية في الحزب : المكتب الاداري للاتصـال مع الاعضاء والفروع ، ومكتب الدعاية ويهتم بالشؤون الثقافية والسياسية ، والمكتب الاجتماعي والرياضي للاهتمام بالعمل والفلاحين والنشاطات الرياضية] .

(١٣) [كمجلس الحزب الذي انعقد بمدينة حمص في تشرين الثاني عام ١٩٤٧ والذي اقر المعركة ضد تعديل الدستور السوري ، وجعل صحيفة «البعث» اسبوعية . كما اقر التطوع للقتال في فلسطين .

وكذلك مجلس الحزب الذي انعقد بتاريخ ١٥ نيسان عـام ١٩٤٩ وحضره ممثلون منتخبون من سورية والاردن ولبنان ، وتعـذر حضور منـدوبي العراق . ونـاقش المجلس اعمال اللجنة التنفيذية في العامين المنصرمين ، وتقرير الفروع ، ومشروعا لنظام داخلي . كما انشا مكاتب مركزية ، وانتخب مجددا عميد الحزب وستة اعضاء كلجنة تنفيذية جديدة بدلا من ثلاثة . ومما يجدر ذكـره هنا انـه كان اول مجلس منتخب من قواعد الحزب] .

(٢٦) [بيع ارقام يانصيب للاعضاء والاصدقاء فقط واستئجار بعض الافلام السينمائية] .

(٢٧) عقد الحزب لفصل عبدالله الريماوي ومجموعته في علم ١٩٥٩ .

(٢٨) صدر البيان باسم الشباب العربي في منتصف شهر شباط عام ١٩٥٢ وحمل تواقيع طلبة عراقيين وسوريين واردنيين وتونسيين .

(٢٩) العضوان هما عبدالرحمن الضامن وأبو بكر الحبشي .

الفصل الخامس

مَعلومَات إضَافيّة حَولَ المَرحلة التأسِيسيّة

آ ـ معلومات اضافية حول المؤتمر التأسيسي :

١ ـ كان من المقرر ان ينعقد المؤتمر التأسيسي للحزب في شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٦ ، ويظهر ذلك من الرسالة الموجهة من اللجنة التحضيرية بتاريخ ١٩٤٦/٩/١٠ الى جميع اعضاء الحزب حول الموعد الملائم لحضور أكبر عدد ممكن ، وتطالبهم بتقديم ما لديهم من مقترحات وأسئلة تتصل بالحزب والموضوعات المطلوب بحثها في المؤتمر[١] . ثم تقرر تأجيل انعقاده الى الاسبوع الاول من نيسان عام ١٩٤٧ لاتاحة الفرصة الكافية لمعرفة آراء الاعضاء في مختلف الفروع وتلقي الملاحظات المطلوبة منهم حول تاريخ انعقاد المؤتمر وموضوعاته .

٢ ـ بالنسبة للمناقشات التي جرت في المؤتمر وتناولت القضايا الأساسية التي طرحت حول القومية والوحدة والاشتراكية والحرية والموقف من الرجعية ، ظهر من تحدث بمنطق وسطي معتدل ، ومن تحدث بشيء من التشدد والتطرف ، ذلك لأن بعض هؤلاء كان متأثرا بالثقافة الماركسية وباحتكاكه مع الشيوعيين ، في حين ان بعض المعتدلين كان متأثرا بالثقافة الليبرالية وبأوساط اجتماعية محافظة .

فبالنسبة لمفهوم القومية وقضية الوحدة ، كان بعضهم متأثرا بالمفهوم التقليدي للقومية والمرتبط بالاعتداد بالماضي والتغني بالامجاد ، والى الحد الذي يصل أحيانا الى الاقتراب من العنصرية والعرقية والاعتماد على النسب والأخذ بالنظرة البيولوجية التي جاء بها داروين حول الصراع من أجل البقاء وأن البقاء للاصلح . غير ان هؤلاء والذين تحدثوا بما يشير الى تأثرهم بالافكار النازية من حيث اعتبار الاعاجم والدخلاء على العروبة ، هم الذين اضطلعوا

بالدور الاكبر في التخريب والتآمر مع الاستعمار وايصال العرب الى ما وصلوا اليه من التخلف والانحطاط ، ان هؤلاء كانوا افرادا قلائل ممن تأثروا بالاستاذ الارسوزي او من ابناء المنطقة الشرقية (دير الزور) .

اما فيما يتصل بالاشتراكية فقد انطلق المعتدلون من نظرة عاطفية انسانية ، ومن القول بأنه لا ابداع بلا حرية ، وبالتالي فيجب أن لا ينظر الى كبار الملاكين وأصحاب المصانع نظرة حاقدة وكأنهم اعداء للمجتمع ، ويجب أن لا تحد الاشتراكية من حرية الافراد حتى ولو كانوا أصحاب المصانع لكي لا تتقيد مبادراتهم وابداعهم في تطوير مصانعهم لخدمة الوطن . كما ظهر اختلاف حول المدى الذي يجب ان تصل اليه الدولة في التدخل والاشراف على الحياة الاقتصادية . فبينما اعرب المعتدلون عن رأيهم في ان تترك حرية اوسع للافراد ، رأى المتشددون ضرورة التشدد في الاشراف والمراقبة والتدخل لمصلحة الدولة والمجتمع . وذهب بعض المعتدلين الى استثقال لفظ الاشتراكية والاعراب عن خشيتهم من ان يؤدي تبنيها الى مقاومة الرجعية للحزب وعرقلة نموه .

● ومهما يكن من أمر فإن ما أقره المؤتمر التأسيسي للحزب حول الاشتراكية وسياسته الاقتصادية والاجتماعية ، كان نقلة ثورية في تلك المرحلة ، ولو اننا عقدنا مقايسة بينها وبين ما ورد في الميثاق الوطني للحزب الشيوعي السوري الذي أقره مؤتمره الوطني في بداية عام ١٩٤٤ ، والذي يعتبر بمثابة دستور له ، لوجدنا ان ما نص عليه دستور حزب البعث أكثر وضوحا وتركيزا ويفوق كثيرا ما ورد في

الميثاق الوطني للحزب الشيوعي الذي تضمن الجانب الاقتصادي والاجتماعي فيه بندين عن حماية العمال ومعالجة البطالة ، وبندا واحدا عن تحرير الفلاح من التأخر والجهل والبؤس ، ولكنه لم يبحث في الاشتراكية ، وتجاهل الاقطاع والملكية الكبرى[٢] . ويبرر خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي عدم التعرض للاشتراكية في الميثاق بكلمة القاها في ١٩٤٤/٢/٢٧ في بيروت بقوله : «ان الاشتراكية العلمية تعلمنا ان قضية الاشتراكية ليست مطروحة امام الاحزاب الشيوعية في البلدان التي لايزال اقتصادها الزراعي تسيطر عليه مخلفات الاقطاعية والعصور الوسطى[٣] .

- في تلك المرحلة روج خصوم الحزب دعاية مؤداها ان مؤسس حزب البعث كان شيوعيا واختلف مع رئيس الحزب الشيوعي السوري على رئاسة الحزب فأسس حزب البعث ، وذهب بعضهم الى حد الادعاء بأنه كان يحمل بطاقة العضوية في الحزب الشيوعي . ولكن لو كانت هنالك بطاقة لأبرزها الحزب الشيوعي ، كما ان كتابات مؤسس حزب البعث قبل تأسيس الحزب وبعده كانت متميزة بشكل واضح عن مباديء الماركسية واهدافها ، والى الحد الذي حمل بعض الشيوعيين على الاعتراض على ما كتبه في مجلة الطليعة التي أصبحت محسوبة عليهم فيما بعد[٤] .
- ان المواد الأساسية التي أقرها المؤتمرون في المؤتمر التأسيسي من حيث التركيز في مبادىء الحزب على الجانب الانساني والحضاري والثوري والاخلاقي والشعبي ، ومن حيث التوكيد على الوحدة والحرية والاشتراكية والربط بينها ، وعلى أهمية التنظيم العقيدي بآفاقه الرسالية وأبعاده التاريخية ، كانت معبرة عن رأي الاكثرية من

اعضاء المؤتمر .

- ولم يظهر من أحد تشبث بالرأي حول هذه القضايا الأساسية . ولكن القضية الشكلية التي تمسك بها معظم اعضاء فرع اللاذقية فقط ، فهي امتناعهم عن أداء قسم الانتماء للحزب من جديد ، في حين قبل به بقية اعضاء المؤتمر . هذا ومن الجدير بالذكر انه لم تظهر بعد المؤتمر تكتلات او انشقاقات في تلك المرحلة ، على اساس فكري او سياسي له صلة بما طرح في المؤتمر ولا بأجواء التطرف او الاعتدال التي ظهرت فيه ، كما ان الانصهار في بوتقة التنظيم الواحد كان يأخذ مداه وأبعاده من خلال الممارسة النضالية ووحدة القيادة ووضوح المباديء وبلورتها في دستور الحزب .
- كانت ثورة الشريف حسين في حزيران ١٩١٦ هي الثورة العربية الحديثة التي استهدفت تحقيق الاستقلال للعرب ، وتشكيل دولة موحدة في أقطار المشرق العربي ، وكان يؤيدها ويتحمس لها معظم المفكرين والسياسيين القوميين . ولم تظهر الكتابات والقوى الناقدة او المعادية لها بشكل واسع الا في الخمسينات وبعدها ، ولا سيما من ثورة ٢٣ يوليو في مصر لأسباب تغلب عليها الأغراض السياسية .

وفي مرحلة الاربعينات لم يكن مستغربا ان يتبنى الحزب ، الراية المعتمدة في تلك الثورة ، راية للدولة العربية ، باعتبار انها كانت ذات نظرة قومية وحدوية ، لها سمات معاصرة ومنطلقات وثيقة بالتراث العربي الاسلامي . كما ان نظرة الحزب للملك فيصل الاول كانت ايجابية للجهود الجادة والمخلصة التي بذلها لتحقيق الاستقلال واقامة خطوة وحدوية في منطقة الهلال الخصيب على الاقل .

ب ـ توضيح بعض الافتراءات على تاريخ البعث

قضية الادعاء بأن زكي الارسوزي من مؤسسي البعث :

بعد ان استطاع حزب البعث العربي الاشتراكي ان يتسلم السلطة في كل من العراق وسورية عام ١٩٦٣ ، وان يمضي في التوجه لاقامة الوحدة مع مصر ، وبعد أن أصبح لشعاراته في الوحدة والحرية والاشتراكية وعدم الانحياز والكفاح المسلح . . . الخ ، انتشار جماهيري واسع ، تنبهت الى خطره ونشطت ضده كل القوى المعادية لشعاراته ، وكثرت الكتابات والبحوث عنه ، ولكن بعضها تضمن الطعن والتجريح بتاريخه ونضاله ، في حين ان بعضها الآخر عمد الى التشويه والتحريف حينا والى التزوير والاختلاق حينا آخر . ومن الامثلة البارزة على ذلك هو الادعاء بأن الاستاذ زكي الارسوزي هو المؤسس الأول والحقيقي لحزب البعث العربي الاشتراكي . ونظرا الى رواج هذه المقولة بفعل الدعاية الاعلامية القوية التي قام بها حكام دمشق بعد انقلابهم على الحزب وقيادته التاريخية في ٢٣ شباط ١٩٦٦ . . . فقد رأيت من المفيد توضيحها على الوجه التالي :

ـ الاستاذ زكي الارسوزي من مواليد اللاذقية لعام ١٩٠٠ ، درس الفلسفة في فرنسا وعاد للتدريس في انطاكية ، وانتمى الى عصبة العمل القومي التي كانت من ابرز المنظمات السياسية في الدعوة الى القومية والوحدة العربية منذ تأسيسها عام ١٩٣٣ الى حين انتهاء الحرب العالمية الثانية . قاد الحركة الوطنية العربية في لواء الاسكندرون في النصف الثاني من الثلاثينات ، وكان مناضلا صلبا

وصادقا في مقاومة الاستعمار الفرنسي ومعارضة سلخ اللواء عن سورية لضمه الى تركيا . وعندما حصل الضم بالقوة والتآمر ، غادر اللواء الى المدن السورية الداخلية مع عدد من الوطنيين الشباب . وظل عدد من هؤلاء على صلة به يستمعون الى آرائه وأحاديثه التي ينم بعضها عن ذكاء حاد ويتسم بالنقد اللاذع والمقذع أحيانا ، الى جانب النكتة والسخرية القاسية احيانا اخرى .

- لم يكن معروفا لدي الرأي العام السوري في مرحلة الاربعينات ان هنالك تنظيما سياسيا بقيادة الاستاذ الارسوزي ، اللهم الا قيادته للحركة الوطنية اللوائية التي دعت الى التمسك بعروبة اللواء كجزء من سورية العربية ، ثم اصداره جريدة العروبة لخدمة هذه الحركة ، ومما يؤكد عدم إنشائه لأي حزب سياسي ما ورد في المجلد الاول من مؤلفاته الكاملة من انه «في هذه الفترة فكّر بتأسيس حزب سياسي يطلق عليه اسم البعث . والفكرة وان لم تتبلور وتتحول الى تنظيم سياسي ، فقد كانت لها نتائج طيبة . . . ففكرة العروبة اتضحت واخذت شكلا شعبيا(*)» . وهكذا يتبين بوضوح ان المسألة بقيت في حيز التفكير ولم تتحول الى تنظيم سياسي .

- الكتاب الذي نشره في وقت كانت فيه افكار جزب البعث في طور التبلور هو «العبقرية العربية في لسانها» عام ١٩٤٣ ، ويبحث في نشأة اللسان العربي ومدلول الكلمات وكيف ان اللغة العربية «هي التي تكوّن الأمة وتعبر عن وجودها ، وتكشف عن عبقريتها وفلسفتها وهي باعثة الوعي القومي عند وعيها» . . وآراؤه في هذا الكتاب وفيما كتبه في وقت لاحق متأثرة بالاتجاه القومي الوحدوي لعصبة العمل القومي وبالحركة الوطنية العروبية في اللواء ، وكذلك

بدراسته للفلسفة ، وتأثره ببعض المفكرين والفلاسفة الاوربيين كهنري برغسون ، وهيغل بأفكاره المثالية ، مع شيء من الصوفية والغيبية . ومهما يكن من أمر فليس المهم ان يكون الاستاذ الارسوزي قد تحدث عن القومية العربية والوحدة وتكوين الأمة (باشتراك السماء مع الارادة الانسانية) ، وان يكون قد استخدم لفظ البعث ورسالة الامة العربية منذ مرحلة الاربعينات ، وانما المهم هو ان يكون استخدامه لها وفق المضامين والمفاهيم التي استخدمها حزب البعث ، وان وجد شيء من التقارب العام والتلاقي في بعض الافكار التي طرحها الارسوزي مع تلك التي طرحها ميشيل عفلق فهو أمر طبيعي نجد ما يماثله بين كتابات عفلق وأي كاتب آخر قومي عربي وحدوي الاتجاه .

- ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان ثمة فروقا وخلافات أساسية بين التراث الفكري والسياسي لحزب البعث العربي الاشتراكي ، التي لخصناها في الفصل الثالث ، وبين ما طرحه الاستاذ الارسوزي حول مفهوم القومية والامة والرسالة والحرية والوحدة . . . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ، ان الحزب أيد ثورة مايس ١٩٤١ في العراق بينما اعتبرها الارسوزي حركة انكليزية مشبوهة - وبينما رأى ميشيل عفلق في الاسلام «تجدد العروبة وتكاملها ويمثل وثبتها الى الوحدة والقوة والرقي» فان زكي الارسوزي يعتبر الجاهلية هو العصر الذهبي للعرب[٦] . كما ان مفاهيمه عن الامة والرسالة والخلود مشوبة بنظرة غيبية وفوقية وفلسفية ميتافيزيكية ، مع نزعة عرقية وعنصرية لم تستطع حجبها بعض المفاهيم الانسانية[٧] لديه . كما انه يؤمن بدور الزعيم او البطل المنقذ

للامة ، في حين ان البعث يؤمن بالجماهير وطلائعها الثورية المنظمة كأداة لتحقيق اهدافه القومية الانسانية . . هذا فضلا عن اهمال الارسوزي للاشتراكية كهدف أساسي مرتبط بالوحدة والديمقراطية .

وبصورة عامة يمكن القول انه لم يطرح افكارا منسقة متكاملة ، ومعبرة عن واقع الامة العربية وحاجاتها وتطلعاتها ، وان آراءه السياسية تمتزج بنزعة فلسفية مثالية وأفكار غيبية احيانا أو ذات شطحات يطغى فيها التصوف والخيال والمبالغة احيانا اخرى ، كما انها لم تستهدف بناء حركة سياسية منظمة ، كما كان الشأن بالنسبة لمؤسسي حزب البعث .

– في أول اجتماع للقيادة القومية بعد المؤتمر القومي الثامن للحزب عام ١٩٦٥ واعتذار الاستاذ ميشيل عفلق عن منصب الامين العام للحزب ، **اقترح حافظ اسد اعطاءه لقب «القائد المؤسس» وكان اول من أيده ابراهيم ماخوس** . فلو كان الاستاذ الارسوزي هو المؤسس الحقيقي لحزب البعث فهل يخطر على بال حافظ اقتراح كهذا وهو الذي تعهد فيما بعد بحماسة شديدة بمحاربة هذا اللقب وابراز الارسوزي كمؤسس للبعث .

٢ - مغالطات اخرى حول البعث والاحياء العربي :

– على أثر العدوان الفرنسي على دمشق في آيار عام ١٩٤٥ اعجب الدكتور وهيب الغانم بمواقف حزب البعث فأرسل برقية من اللاذقية يضع نفسه مع بعض الشباب تحت تصرف الحزب ، وفي العام التالي قام الاستاذ ميشيل عفلق ومعه الدكتور كمال مشارقة بزيارة نشاط حزبي الى عدة مدن ومنها حمص وحماه وحلب ثم اللاذقية حيث التقى

مع هؤلاء المتأثرين بالاستاذ الارسوزي ، غير ان ارتباطهم بالحزب ولا سيما الذين كانوا بدمشق ، قد تم على اساس فردي وبأوقات متفاوتة وليس كجماعة او كتلة متميزة . وهذا يعني ان **الادعاء بوجود تنظيمين احدهما جماعة الاحياء العربي بدمشق والثاني جماعة البعث العربي في اللاذقية ، اندمجا بعد التفاوض وشكلا حزب البعث العربي الاشتراكي**[٨] ، هو ادعاء غير صحيح ومدسوس على تاريخ الحزب لاغراض سياسية وطائفية رخيصة .

ـ لو كان لهذا الادعاء جانب من الحقيقة ، فلماذا انتمى ابناء محافظة اللاذقية الى الحزب بشكل افرادي وبأوقات متباينة قبل المؤتمر التأسيسي ، ولماذا كانت البيانات والبرقيات السياسية باسم البعث العربي توقع منذ عام ١٩٤٣ من قبل ميشيل عفلق وصلاح البيطار ، ولم يكن فيها اسم او ذكر للغانم او الارسوزي او اي من المتأثرين بهما ـ ولماذا كان الطلب المقدم من وزارة الداخلية في تموز عام ١٩٤٥ من أجل الحصول على ترخيص رسمي باسم حزب «البعث العربي» موقعا من ميشيل عفلق وصلاح البيطار ومدحت البيطار ، وفيه اشارة الى «ان حركة البعث نشأت منذ عدة سنوات»[٩] ولم يكن من بين الموقعين لهذا الطلب احد ممن ادعوا انهم كانوا مجموعة ذات شأن واندمجت بالحزب . ولماذا لم يكن من هذه المجموعة المزعومة احد في قيادة الحزب قبل المؤتمر التأسيسي مع ان جلال السيد كان في هذه القيادة قبل المؤتمر ولم يكن مقيما بدمشق ؟

ولماذا تحدث الاستاذ عفلق في جلسة افتتاح المؤتمر عن مراحل نشاط الحزب والصعوبات التي واجهته ، ثم تحدث عند البدء ، بمناقشة مواد الدستور عن منطلقاته الفكرية التي استند اليها ولم يكن

في كلامه تصريح او تلميح لقضية اسمها جماعة الارسوزي وأفكاره ؟

ولماذا اختير ميشيل عفلق بالاجماع عميدا للحزب بنهاية المؤتمر التأسيسي ، ولماذا اختارت اللجنة التنفيذية صلاح البيطار أمينا عاما للحزب ولم تختر الغانم كممثل لمجموعة مندمجة اذا صح الادعاء المزعوم ؟

لماذا لم تظهر من هؤلاء اعتراضات على ما كان يكتبه ميشيل عفلق والبعثيون الأوائل حول منطلقات البعث النظرية والفكرية وبالشكل الذي تظهر فيه آثار المفاهيم والمنطلقات الفكرية للاستاذ الارسوزي . ولو جاز لمن انتموا الى حزب البعث ممن تأثروا بأفكار الاستاذ الارسوزي ، ان يدّعوا بأنهم الذين أسسوا حزب البعث ، مع ان نسبتهم أقل من ١٠ بالمائة من اعضاء المؤتمر التأسيسي ، لحق لحزب الاستقلال ان يدّعي بأنه المؤسس الحقيقي لحزب البعث (في العراق) لأن معظم البعثيين الاوائل فيه كانوا منتمين الى ذلك الحزب مع انه لم يخطر ببال احد شيء من ذلك .

٣ ـ من المغالطات ايضا هو الادعاء بأن وهيب الغانم هو الذي وضع المواد الاقتصادية والاجتماعية في دستور الحزب[١٠] في حين ان اللجنة التي وضعتها كانت مشكلة من ثلاثة هم الدكتور عبدالمنعم الشريف والمحامي عبدالرحمن المارديني وعضو ثالث ، ولم يكن الغانم فيها[١١] . هذا مع العلم ان الافكار والنقاط الاساسية المتصلة بالاشتراكية والسياسة الاقتصادية والاجتماعية التي أقرها المؤتمر التأسيسي كانت مدونة قبل سنوات من انعقاد المؤتمر التأسيسي وقبل تشكيل اللجنة التحضيرية ، ولم يكن للغانم أي جهد في وضعها . وكانت متداولة باسم «اهداف وغايات» ونشرت

فيـما بعد في العـددين الثالث والـرابع من صحيفـة البعث عنـد صدورها عام ١٩٤٦[١٢] .

وبعد : فاننا اذ نأسف لهذا التزوير المتعمد في تاريخ حـزب البعث العـربي الاشتـراكي ، نستـطيـع القـول مـع وافـر الثقـة والاطمئنان ، ان كل ما أثير في هذا الصدد كان بدوافع سياسيـة وطـائفية رخيصـة يستهدف النيـل من مؤسسي البعث الحقيقيين واضفاء الشرعية على حكام دمشق بعد انقلابهم العسكري عـلى الحزب وقيادته التاريخية والشرعية في ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، وكان من الطبيعي ان يروج لذلك اعداء الحزب والراغبون في الاساءة اليه .

ج ـ بعض سمات المرحلة التأسيسية وظواهر التطور بعدها :

١ ـ يمكننا اعتبار المرحلة ما بين عام ١٩٤٠ وحتى نهاية عام ١٩٤٢ مرحلة تمهيدية غلب عليها النشاط الفكري . وان مرحلة التـأسيس الحقيقية بـدأت منذ عـام ١٩٤٣ وحتى انعقاد المؤتمـر التأسيسي . وقـد سبقت الاشارة الى ان معظم المباديء الأساسية للحزب قد طرحت منـذ عام ١٩٤٣ ، وان تسمية البعث العربي باسم الحركة ظلت حتى نهاية نيسان عام ١٩٤٥ حيث بدأت تسميته باسم الحزب تأخذ طريقها وتطغى مع الزمن على تسمية الحركة .

اما العبارة التي وردت في بيان ١٥ حزيران عام ١٩٤٣ باسم عفلق والبيطار كتفسير لتصريح لهما نشرته بعض الصحف وجاء فيه : «وان لم نكن نؤلف حزبا سيـاسيا ، نعـرف اننا نمثـل البعث العربي في الجيـل الجديد . . . وستبقى حركة نضالية سنين طويلة . .»[١٣] ، فـانها تعني تغليب تسمية الحركة على تسمية الحزب ، وعلى اعطاء أهمية للتوعيـة

الفكرية اكثر من النشاط ذي الطابع الحزبي والسياسي ، مع ان هذا الطابع كان معروفا وواضحا في نضال الحزب .

ومما تجدر الاشارة اليه ايضا ان المؤثرات الثقافية المتباينة ، واختلاف المفاهيم حول القومية والوحدة والحرية والاشتراكية ـ لدى الاعضاء كأفراد وكمجموعات صغيرة في المحافظات السورية ولا سيما في دمشق واللاذقية ودير الزور ، كانت ، ظاهرة وملحوظة . ولكنها بعد المؤتمر التأسيسي واقرار الدستور والنظام الداخلي بدأت هذه المجموعات تتقارب وتندمج بالتدريج ، ولم تظهر لها آثار سلبية في مسيرة الحزب النضالية في مرحلة الاربعينات التأسيسية .

٢ ـ لئن سبقت الاشارة الى بعض ما سنذكره في هذه الفقرة فلا نقصد التكرار وانما طرح سمات المرحلة التأسيسية بشكل منسق مع توضيح معالم التطور وظواهره بعد تلك المرحلة .

ان التشديد على القومية العربية كحقيقة حية خالدة وذات مضمون تقدمي انساني ، وعلى خصائص الامة العربية واستقلاليتها وشخصيتها وتميزها ورسالتها المتجددة المتكاملة ـ قد جاء نتيجة لظروف المرحلة والحاجة القائمة لتثبيت الهوية القومية ، ولمواجهة التيارات اللاقومية الناشطة بفرعيها الماركسي والديني ولمجابهة التيارات والمنظمات القطرية القوية ، ولكن هذا التشديد لم يستمر في مرحلة الستينات حيث تسلم الحزب السلطة وأصبحت القومية العربية امرا مفروغا منه على الصعيدين الشعبي والرسمي ، وتضاءل الطرح العاطفي والتاريخي للفكر القومي والوحدوي ، واخذ طابعا ملتصقا بالاشتراكية ومصلحة الجماهير ومستلزمات التقدم وشروطه الموضوعية .

٣ ـ ان الربط بين الوحدة والحرية والاشتراكية في النشرات الداخلية

والبيانات العامة ، أصبح سمة ميزت عقيدة الحزب عن المنظمات القومية ذات الافكار المجردة والمفاهيم التقليدية في القومية ، وعن المنظمات الاخرى ذات النزعة الاممية او القطرية ، وأصبحت قضية الترابط بعد ان توضحت أهميتها وضرورتها شعارا فرض نفسه على كثير من الحركات السياسية القومية في الوطن العربي ، كالاحزاب الناصرية التي جعلت شعارها : «حرية وحدة اشتراكية» ، كما انها شملت بعض الاجنحة والفصائل الشيوعية كالحزب الشيوعي السوري (المكتب السياسي) الذي جعل شعار مجلته «المسار» ـ (تحرير ديمقراطية اشتراكية وحدة عربية) .

٤ ـ لقد أملت ظروف المرحلة التأسيسية التركيز على الحرية فالوحدة فالاشتراكية ، وعلى الرغم من اقتران الحرية بالاشتراكية فقد كانت بعض الصيغ والتعابير المتصلة بالحرية متأثرة بالليبرالية الغربية ، الأمر الذي أشار اليه المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣ ، وسعى الى التخفيف منها بالتوجه نحو الديمقراطية الشعبية المستندة الى قضية الصراع الطبقي ، وعلى اطار سياسي تقوده طلائع ثورية منظمة ومجالس شعبية وفق صيغ المركزية الديمقراطية(١٤) ، كما ظهر شعار الحزب القائد .

وفي حين اتسع وتعمق المد الوحدوي منذ منتصف الخمسينات وحتى منتصف الستينات، ولا سيما بقيام الوحدة بين سورية ومصر وتوقيع اتفاقية الوحدة الثلاثية بين سورية ومصر والعراق عام ١٩٦٣ ، فقد اعقب هذه المرحلة انحسار في التوجه الحقيقي نحو الوحدة ، مع اهتمام بعض الانظمة العربية بالاشتراكية او التنمية والتدابير الاقتصادية كما لو أريد لها ان تكون بديلا عن الوحدة والحرية او تعويضا عنهما .

٥ ـ الاهتمام في مرحلة الاربعينات ، بالتميز عن الماركسية في رفض فلسفتها

المادية ونظرتها للانسان والقومية والاشتراكية مع محاولة اعطاء الصراع الطبقي مفهوما مختلفا عن المفهوم الماركسي لها . . الخ[١٥] أدى الى التباعد الذي عززته مواقف الاحزاب الشيوعية العربية الخاطئة من قضية فلسطين ولواء الاسكندرون والوحدة العربية . . . ولكن المهادنة او التقارب احيانا بين البعث والماركسيين حدثا في المراحل اللاحقة لظروف سياسية ، اهمها دعم دول المنظومة الاشتراكية للقضايا العربية ودخول السلاح السوفيتي المنطقة العربية . وفي حين أعطيت الحرية والوحدة في مرحلتي الاربعنيات والخمسينيات الارجحية والاولوية على الاشتراكية ، فقد أصبحت هذه فيما بعد معادلة لهما او في مستواهما حسب المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ، ان لم نقل انها اخذت الاهتمام الاول وبدا كأن معظم مفاهيم الحرية والوحدة مرتبط بها او منبثق عنها .

٦ ـ ان الحزب بحكم حداثته وصغر حجمه وضعف امكاناته ، في مرحلة التاسيس لم يكن مهتما بالدراسات العلمية والميدانية لشعاراته الاساسية ، وقد ذكرنا في الفصل الرابع كيف كان تنظيمه في تلك المرحلة بسيطا تغلب عليه العفوية والتجريبية ، وعدم الاهتمام بالتسلسل والانضباط والتخطيط ووضع الاستراتيجية والبرامج المرحلية للنضال ، الأمر الذي أبقى التنظيم الحزبي دون مستوى الافكار والمباديء التي طرحها . ولهذا شدد المؤتمر القومي السادس على سمتي الثورية والعلمية للحزب ، ووضح دوره كطليعة ثورية قيادية وعلى أهمية المركزية الديمقراطية في العمل النضالي ، وعلى كثيرمن القواعد والاساليب المستمدة من التجربة النضالية الحية والتي لو طبقت بالفعل لجنبت الحزب كثيرا من النكسات التي تعرض لها .

٧ ـ كانت أكثرية البعثيين في المرحلة التأسيسية من الطلبة والموظفين ، كما ذكرنا ، ولم تتجاوز اعمارهم سن الثلاثين ، كما ان أكثريتهم من أبناء الريف ، اي من جذور فلاحية ، وعلى الرغم من وعي الحزب لأهمية الطبقة العاملة وحث قيادته على كسبها ، والتغلغل في صفوفها ، فقد ظلت نسبة العمال ضئيلة في تلك المرحلة لصعوبة استيعابها لمبادىء الحزب وشعاراته قبل ان يتاح له من يستطيع فهمها وهضمها ومن ثم تقديمها للجماهير الشعبية بشكل مبسط وواضح . كما ان النشاط النسوي المنظم في الحزب اخذ دوره بعد المؤتمر التأسيسي ، في حين ان الاهتمام بالقطاع العسكري ظل معدوما في هذه المرحلة باستثناء التعاطف الفكري الذي كان يبديه العسكريون تجاه الحزب من خلال ارتباطهم به قبل انتسابهم للجيش ، او من خلال اعجابهم بمواقفه النضالية والاخلاقية ، ولكن الاهتمام الجدي بالعسكريين بدأ في مرحلة الخمسينات ، وقد أشرنا الى اسباب ذلك في الفصل الرابع ، ويمكن ان نضيف هنا ان المؤتمر القومي السادس قد أعطى مسوغا فكريا وعقيديا لهذا الاهتمام عندما الغى شعار الجيش المحترف ورفض اقصاءه عن السياسة ، وأكد على أهمية الجيش العقائدي المعني بالقضايا القومية ، وعلى ضرورة التثقيف السياسي والايديولوجي فيه : «لينصهر الجيش والشعب في مصير ثوري مشترك»(١٧) .

٨ ـ لقد جمع الحزب بين الاصالة والمعاصرة ، اي بين التراث والحداثة ، وحارب في الوقت نفسه السلفية الرجعية الجامدة ونزعة التغريب والتقليد الجامد ، لقد اهتم بالتراث من خلال «وضع تشريع منسجم مع تجارب الامة في ماضيها»(١٨) . ومن خلال توكيد الرفيق المؤسس على صلة العروبة بالاسلام في محاضرته عن ذكرى

الرسول العربي عام ١٩٤٣ ، اما اهتمام الحزب بالحداثة فمن خلال توكيده على الاساليب والوسائل العصرية والعلمية في تكوين الحزب وبناء الدولة ، مع الانفتاح على التيارات الفكرية والسياسية المعاصرة» وجعل التشريع منسجما مع روح العصر الحاضر «والسعي لتكوين» جيل عربي جديد آخذ بالتفكير العلمي طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية» . . . ثم ان الحزب في المرحلة التأسيسية يأخذ بمضمون العلمانية المعتدلة غير الملحدة من خلال اعتباره «الرابطة القومية ، هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة ، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والعرقية والاقليمية»[١٩] . ثم انه يشير صراحة الى العلمانية في المؤتمر القومي الثالث عام ١٩٥٩ وفي المؤتمر القومي الرابع عام ١٩٦٠ لمواجهة الطائفية السياسية والفئات الرجعية المتاجرة بالدين[٢٠] .

ان فكرة «الرسالة الخالدة المتجددة والمتكاملة» تعبر عن الربط بين الاصالة والمعاصرة بآن واحد اذا فهمت على حقيقتها ، ولكن هذه الفكرة بعمقها التاريخي ، وبعدها الحضاري ، وآفاقها الانسانية وطبيعتها الفلسفية ، لم تعط حقها من الشرح والتوضيح والتعميق ، مع انها وردت في المباديء الاساسية الثلاثة من دستور الحزب وأصبحت جزءا من شعاره . لقد بقيت عامة وغامضة في أذهان الكثيرين ، ولم تصبح عقيدة يمتزج فيها الفكر مع الايمان فتتحول الى قوة فاعلة او الى طاقة ثورية تدفع الاعضاء لمضاعفة البذل والنضال ، ومن ثم تلتقي مع السمات الاساسية الاخرى لحزب البعث العربي الاشتراكي فتجعله حركة تاريخية عقيدية ثورية

متميزة نوعيا عن الاحزاب التقليدية التي عرفتها الساحة العربية في العصر الحديث .

٩ - هنالك بعض التعابير والمصطلحات كانت مستخدمة ورائجة في مرحلة الاربعينيات قل استخدامها في المراحل اللاحقة او استبدلت بمصطلحات أخرى ، الأمر الذي يشير الى نوع من التطوير او التوكيد على المضمون الذي يبدو أكثر وضوحا في المصطلحات الجديدة . فالثورية حلت محل الانقلابية منعا للالتباس الذي تثيره هذه الكلمة الاخيرة مع الانقلابات العسكرية . واستخدمت الطليعة الثورية كبديل عن الجيل العربي الجديد ، والرفيق بدلا عن الأخ ، وأصبح استخدام الطبقة العاملة او الكادحة أكثر من الطبقة الشعبية ، والطبقة الحاكمة أكثر من الفئة الحاكمة ، والجماهير أكثر من الشعب ، لأن مضمون هذه التعابير الجديدة أكثر التصاقا بالمعنى الطبقي والاجتماعي . ويمكن القول بصورة عامة ان الظروف السياسية العربية والدولية بعد الخمسينيات ، واوضاع الحزب الداخلية بعد ان تسلم السلطة في كل من العراق وسورية ، واتسع حجمه ، وبرز تأثيره ودوره في المنطقة العربية ، ولم تستطع قيادته التاريخية العليا ممارسة المركزية الديمقراطية ، ظهرت بعض التكتلات المتنافسة او المتصارعة التي عكست تباين المؤثرات والآراء حول كثير من القضايا السياسية والفكرية ، ويمكن ان نستشف ذلك ونتلمسه من خلال المقررات والتوصيات التي صدرت عن المؤتمرات القومية في مرحلة الستينيات وبعدها .

هوامش الفصل الخامس

(١) اضفنا الرسالة الى قسم الملاحق ومعها موضوعات المؤتمر المقترحة من اللجنة التحضيرية ، كما وضعنا صورة البطاقة الخاصة بالاعضاء والتي تسمح لهم بحضور الجلسات) .

(٢) انظر الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ـ الياس مرقص ص ٢٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٨ .

(٤) انظر مقالاته في مجلة الطليعة يوم كانت بدمشق ١٩٣٥ وبعد انتقالها الى بيروت عام ١٩٣٦ ، واصبحت معروفة باتجاهها اليساري .

(٥) انظر ص ١٦ من المؤلفات الكاملة ـ زكي الارسوزي المجلد الاول مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة ـ دمشق ١٩٧٢ .

(٦) انظر المؤلفات الكاملة ـ زكي الارسوزي ـ المجلد الاول ص ١٢٦ مطابع الادارة والسياسة للجيش والقوات المسلحة ١٩٧٢ .

(٧) المصدر السابق ص ١١٩ ـ وانظر كتابنا رسالة الامة العربية ط ٢ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ويظهر فيه الفرق الواضح بين مفهوم حزب البعث العربي الاشتراكي للرسالة الخالدة على اساس من فهم الواقع والتاريخ وارادة التطلع للمساهمة في بناء الحضارة الانسانية وتعزيز قيمها ، وبين ما يذكره عنها الاستاذ الارسوزي .

(٨) «انظر صحيفة تشرين السورية تاريخ ١٢/٤/١٩٨٦» ... ومذكرات سليمان العيسى في مجلة المناضل .. لسان حال الحزب الحاكم في سورية ، العدد ٨٥ ايار ١٩٧٦ ، وفيه كثير من التزوير للحقائق ومغالطات فاضحة ، وكذلك مذكرات فايز اسماعيل في المناضل العدد ١١٥ في تشرين الثاني ١٩٧٨ ، وتحقيق في ملحق صحيفة الجمهورية البغدادية بتاريخ ٧/٤/١٩٧٩ وصحيفة البعث السورية العدد ٤٩٤٤ في ٦/٤/١٩٧٩ .

(٩) ص ١٠٤ ـ ١٠٥ من نضال البعث ، ج١ ط٢ ـ ١٩٧٠ .

(١٠) انظر مقال عن حزب البعث العربي الاشتراكي في اللوموند ديبلوماتيك بعددها الصادر في تشرين الثاني عام ١٩٧٥ بعنوان قومية عربية بدون مذهب محدد ـ بقلم جان بيير فينو ، ويستند في معلوماته الى اطروحة السيد مصطفى دندشلي عن حزب البعث .

(١١) انظر حديث لعبدالرحمن ماردينى في صحيفة البعث تاريخ ١٢/٤/١٩٨٢ العدد

٥٨٥٦ .

(١٢) انظر نضال البعث ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة عام ١٩٧٢ ، ص ٧٢ .

(١٣) انظر نضال البعث ، ج١ ط٢ ١٩٧٠ ص ٢٩ .

(١٤) انظر دستور حزب البعث العربي لعام ١٩٤٧ وبعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس للحزب عام ١٩٦٣ .

(١٥) انظر الجزء الثاني ص ١٧٠ ، وسنذكر مناحي التطور في فكر الحزب بشيء من التفصيل في الجزء الثالث من تاريخ الحزب .

(١٦) انظر بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس .

(١٧) «انظر المادة ١٨ من دستور الحزب» .

(١٨) «المادة ١٥ من دستور الحزب» .

(١٩) لمزيد من التفاصيل انظر الفصل الرابع من القسم الاول من كتابنا «العلمانية والدولة الدينية عام ١٩٨٦» ... .

الملاحق

ـــأـــ

من وثيقة حركة «نصرة العراق» في آيار ١٩٤١

ايها العربي :

إعلم ان العراق في هذه الساعة يناضل من أجل أمنية كل العرب (الوحدة العربية) . ضح برفاهك اياما تضمن لأمتك السعادة أجيالا .

إلغ الضيافات ولا تقبلها من الآخرين ، وبقيمتها قدم لجرحى العراق أضمدة وأدوية ... ولتكن تحيتكم فيما بينكم بعد الآن : **نفدي العراق** .

أما الدعاء فهو : «اللهم انت الذي اردت ان يكون العرب أمة واحدة هادية تحمل الى العالم رسالتك ، تريد اليوم ان تعود اليهم وحدتهم وقوتهم ليؤدوا هذه الرسالة من جديد . اللهم هبني قوة الايمان وصفاء الفكر وصلابة الارادة ، لأكون جنديا نافعا فعالا في الجهاد الذي يقوم به العراق من أجل وحدة العرب» .

أما العهد فهو : «أقسم بالله العظيم والعروبة الخالدة ان أبذل لنصرة العراق كل جهودي المادية والمعنوية وأن أطبق على نفسي نظام الحرمان والتضحية في حياتي اليومية وأن أعمم هذا النظام بقدر استطاعتي وأن أبشّر بالفكر والعمل لتحقيق الوحدة التي أحيا من أجلها وأرضى بالموت في سبيلها» .

«إقرأها واعمل بتعاليمها»

كما ورد في الوثيقة ايضا :

«ان اسم التنظيم «نصرة العراق» والقائمون به جماعة من

اساتذة المدارس وطلابهم وغايته امداد العراق في حربه التحريرية .. وأساليبه : تجنيد الامة العربية بواسطة طلابها وشبابها . ولهم تحية ودعاء وعهد» .

ب

التعميم الموجه من اللجنة التحضيرية لأعضاء المؤتمر حول الموعد الذي يرونه مناسباً وتقديم ما لديهم من مقترحات وجاء فيه :

حزب البعث العربي
اللجنة التحضيرية
للمؤتمر الأول

«تنبيه يرجى عدم اذاعة أي شيء عن المؤتمر وأبحاثه»

الأخ .....

تحية عربية وبعد ، فإن حزب البعث العربي يعتزم عقد مؤتمر عام له في دمشق ، يجمع كافة أعضائه يرمي الى استعراض الوضع العام في سوريا والبلاد العربية ، وبحث حال الحزب واتخاذ قرارات تتصل بذلك ، وهو يطلب من كل عضو ان يواقيه سريعا بالاجوبة في الأمور التالية خلال فترة لا تتجاوز نهاية أيلول .

اولاً : سيعقد المؤتمر بعد مدة لا تقل عن الشهر من تاريخ هذا اليوم ، ولا تتجاوز الشهرين ، لذا تريد اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحزب العام ان تعلم من الأعضاء الموعد الذي يختارونه ، والذي يرونه لاجتماع أكبر عدد .

ثانياً : ترجو اللجنة التحضيرية للمؤتمر من الفروع والأعضاء أن يوافوها سريعا بما يرونه من مقترحات تتصل بهذا المؤتمر لبحثها فيه ، وأن يعدوا منذ الآن ما يعرض لهم من أسئلة وآراء تتصل بوضع الحزب ثم يبعثون بها قبل الموعد المحدد .

ثالثاً : تقترح اللجنة التحضيرية للمؤتمر أن تكون الموضوعات العامة التي سيعالجها المؤتمر هي الموضوعات المدرجة فيما يلي . وهي تطلب من كل عضو ان يتقدم بما يراه تجاهها من أفكار ، أو يعالج منها ما يختار .

رابعاً : ترسل الاجوبة والمقترحات عن طريق مركز الفرع ، ان كان في بلد العضو فرع ، أو عن طريق الجواب الشخصي الى المركز الرئيسي ان لم يكن في البلد فرع .

دمشق في ١٠/٩/١٩٤٦

اللجنة التحضيرية للمؤتمر

موضوعات المؤتمر

١ ـ الحالة السياسية في سوريا :

آ ـ موقف الحزب لانتخابات المقبلة والاشتراك فيها ، قانون الانتخابات ، الخ ..

ب ـ مشكلة الحريات الدستورية وتقييدها .

ج ـ موقفنا من الاحزاب المعارضة .

د ـ مكشلة النفوذ الأجنبي وتدخل الانجليز .

١ء ـ قضية الخبراء والفنيين .

٢ء ـ الشركات والامتيازات .

٣ء ـ الاتفاقات العسكرية .

هـ ـ الاوضاع في جبل الدروز .

د ـ الاوضاع في (جبل) العلويين .

٢ ـ وضع البلاد العربية :

آ ـ قضية فلسطين .

ب ـ قضية المغرب .

ج ـ مصر : المفاوضات ، التحالف العسكري الجبهة الشرقية ، الاحزاب وسياستها .

د ـ مشكلة الاسكندرون : الاتجاه الجديد في سياسة الحكومة السورية تجاه تركيا .

هـ - شرق الاردن : مشكلة سوريا الكبرى ، المعاهدة الجديدة والوضع الدستوري .

و - لبنان : الطائفية والاحزاب ، النفوذ الاجنبي ، الثقافة .

ز - العراق : المعاهدة والجلاء ، وجود القوات الهندية في البصرة ، الاحزاب اليسارية المعارضة ، قضية الاحواز ، مشكلة العناصر .

ح - البلاد العربية السعودية : البترول والنفوذ الاميركي .

ط - البلاد العربية والتنافس الدولي ، الجامعة العربية والجامعة الشعبية .

ي - اليمن والمحميات والامارات .

٣ - حالة الحزب الداخلية :

آ - التنظيم الداخلي للحزب : الحالة المالية والادارية ، الفروع .

ب - الجريدة : مشروع مجلة ومطبعة .

ج - تقارير المراكز المختلفة ومقترحات الفروع والاعضاء .

- النشاط الحزبي ، رحلات ، زيارات مخيمات ، نظام الفتوة .

حزب البعث العربي
اللجنة التحضيرية
للمؤتمر الأول

« [illegible] : يرجى عدم [illegible]
في المؤتمر وإعادته »

الأخ ....

تحية عربية وبعد ، فإن حزب البعث العربي يعتزم عقد مؤتمره الأول في دمشق ، ويرجو كافة أعضائه [illegible] يستعرض الوضع العام في سوريا ، والبلاد العربية ، ويبحث حال الحزب ، ويتخذ قرارات تتصل بذلك ، ويطلب من كل عضو أن يوافيه سريعاً بالأجوبة عن الأمور التالية خلال مدة لا تتجاوز [illegible] :

١ - سيعقد المؤتمر بعد مدة لا تقل عن شهر من تاريخ هذا اليوم ، ولا تتجاوز الشهرين ، لذا ترجو اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحزب [illegible] من الأعضاء [illegible] ، والذي يرونه [illegible] الاجتماع [illegible] .

٢ - ترجو اللجنة التحضيرية للمؤتمر من الفروع والأعضاء أن يوافوها سريعاً بما يرونه من مقترحات [illegible] المؤتمر ليبحثها [illegible] من أسئلة وآراء تتصل بوضع الحزب [illegible] من أجل الوحدة [illegible] .

٣ - تقترح اللجنة التحضيرية للمؤتمر أن تكون موضوعات البحث التي سيعالجها المؤتمر هي الموضوعات [illegible] ، وهي تطلب من كل عضو أن يتقدم بما يراه [illegible] من أفكار [illegible] .

٤ - ترسل الأجوبة والمقترحات عن طريق مركز الفرع [illegible] أو عن طريق [illegible] الشخصي إلى المركز الرئيسي [illegible] .

دمشق في .١٠/٧/٤١٧ (?)

اللجنة التحضيرية للمؤتمر

موضوعات المؤتمر

١ - الحالة السياسية في سوريا .
أ - موقف الحزب من الانتخابات النيابية والاشتراك فيها ، [illegible] الانتخابية [illegible] .
ب - مشكلة الحريات الدستورية والديمقراطية .
ج - موقفنا من الأحزاب القائمة .
د - مشكلة النفوذ الأجنبي ومشكل الأقليات .
١ - قضايا الأقليات [illegible] .
٢ - الشركات والامتيازات .
٣ - الاتفاقات العسكرية .
هـ - الأوضاع في جبل الدروز .
و - الأوضاع في الجزيرة .
٢ - وضع البلاد العربية
أ - قضية فلسطين .
ب - قضية المغرب .
ج - مصر : المفاوضات ، [illegible] العسكري [illegible] ، الأحزاب وسياستها .
د - مشكلة الاسكندرون : [illegible] في سياسة الحكومة السورية تجاه تركيا .
هـ - شرقي الأردن : مشكلة سوريا الكبرى ، [illegible] والوضع الدستوري .
و - لبنان : الطائفية والأحزاب ، النفوذ الأجنبي ، [illegible] .
ز - العراق : المعاهدة والملك ، وجود القوات [illegible] في البصرة ، الأحزاب اليسارية [illegible] ، [illegible] الأكراد ، مشكلة العشائر .
ح - البلاد العربية السعودية : البترول والنفوذ الأمريكي .
ط - البلاد العربية والتنافس الدولي ، الجامعة العربية والجامعة [illegible] .
ي - اليمن والمحميات والإمارات .
٣ - حالة الحزب الداخلية :
أ - التنظيم الداخلي للحزب : [illegible] والإدارية ، الفروع .
ب - الميزانية : مشروع [illegible] .
ج - تقرير المراكز [illegible] ومقترحات الفروع والأعضاء .
د - النشاط الحزبي [illegible] .

- ج -

البطاقة الخاصة بأعضاء المؤتمر

حزب
البعث العربي

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

المؤتمر الاول لحزب البعث العربي

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

الرقم ١٦٩

بطاقة خاصة بالاعضاء تسمح لهم بحضور كافة الجلسات

السيد [illegible]

الفرع [illegible]

التاريخ [illegible] ١٩٤٧

اللجنة التحضيرية للمؤتمر

البعث العربي

أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

— د —

دستور حزب البعث العربي

* * *

حزب البعث العربي

منظمة

سياسية ، قومية ، شعبية ، اشتراكية ، انقلابية تأسست عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م

شعارها

أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

* * *

مقدمـــة :

ينتـاب العالم العـربي اليـوم ضـرب من الفـوضى السيـاسيـة والاضـطراب الاجتماعي ، يجعـل من العسير سلوك البـلاد سبيـل النهوض والتقدم .

وقد حاول «الوطنيون» دوما ، ولايزالون يحاولون تفسير الوضـع الراهن بمـا يبرر بقـاءهم فتـرة اخـرى من الزمن في رأس القيـادة الوطنية . فساقهم هذا المنطق النفعي الى استغـلال الوضـع الراهن الفاسد ، وزيادة فساده ، ولكن التفسير الصحيح الذي يكشف عن الداء والدواء معا ، هو ان العرب قد جهلوا وتجاهلوا قيمة الاحزاب في مجال السياسة ، فسياسة الاشخاص هدامة ، مهما سموا ، هدامة لكيان الوطن ، هدامة للاشخاص انفسهم .

والحزب فكرة وروح ، تتجسدان في افراد وتنتشران في جمهور . وتفضل الفكرة فتصاغ مبادىء الحركة الصحيحـة ، وتلهـب روح الجمهور فتتحول الفكرة الى قوة وينمو الحزب ويحقق اهدافه .

وقد كتب لحزب «البعث العربي» ان يمر في هذه الاطوار الطبيعية ويضم بين جوانحه عناصر الحياة في الحركة الحزبية . فاذا اضفنا الى هذه العوامل العامة هذه الحقيقة الخاصة :

وهي ان فكرة الحزب قد نبتت من حاجات العرب لتتمثل امانيهم ، وتهيء لهم سبيـل الانبعاث ـ حق علينا ان نقدم اليوم الى الامـة العربية :

حـزب البعث العـربي : القـومي ، الشعبي ، الاشتـراكي ، الانقلابي .

صلاح الدين البيطار
أمين الحـزب العام

ميشيل عفلق
عميـد الحزب

دمشق في ٢٩ رجب ١٣٦٦ ، ١٧ حزيران ١٩٤٧

الدستور

١ ـ مبادىء أساسية

المبدأ الأول
وحدة الامة العربية وحريتها

العرب أمة واحدة لها حقها الطبيعي في أن تحيا في دولة واحدة وأن تكون حرة في توجيه مقدراتها .

ولهذا فان حزب البعث العربي يعتبر :

١ ـ الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ ولا يمكن لأي قطر من الاقطار العربية ان يستكمل شروط حياته منعزلا عن الآخر .

٢ ـ الامة العربية وحدة روحية ثقافية ، وجميع الفوارق القائمة بين ابنائها ، عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي .

٣ ـ الوطن العربي للعرب ، ولهم وحدهم حق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجيه مقدراته .

المبدأ الثاني
شخصية الامة العربية

الامة العربية تختص بمزايا متجلية في نهضاتها المتعاقبة ، وتتسم بخصب الحيوية والابداع ، وقابلية التجدد والانبعاث ، ويتناسب انبعاثها دوما مع نمو حرية الفرد ، ومدى الإنسجام بين

تطوره وبين المصلحة القومية .

ولهذا فان حزب البعث العربي يعتبر :

١ ـ حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لأية سلطة أن تنتقصها .

٢ ـ قيمة المواطنين تقدر ـ بعد منحهم فرصا متكافئة ـ بحسب العمل الذي يقومون به في سبيل تقدم الامة العربية وازدهارها ، دون الى اي اعتبار آخر .

المبدأ الثالث

رسالة الامة العربية

الامة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ ، وترمي الى تجديد القيم الانسانية ، وحفز التقدم البشري ، وتنمية الانسجام والتعاون بين الامم .

ولهذا فان حزب البعث العربي يعتبر :

١ ـ الاستعمار وكل ما يمت اليه عمل اجرامي يكافحه العرب بجميع الوسائل الممكنة ،وهم يسعون ضمن امكانياتهم المادية والمعنوية الى مساعدة جميع الشعوب المناضلة في سبيل حريتها .

٢ ـ الانسانية مجموع متضامن في مصلحته ، مشترك في قيمه وحضارته . فالعرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها ، ويمدون يد الاخاء الى الامم الاخرى ، ويتعاونون معها على ايجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام ، والسمو في الخلق والروح .

٢ ـ مباديء عامة

المادة الاولى ـ حزب (البعث العربي) حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية ، وهو لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا .

المادة الثانية ـ مركز الحزب العام هو حاليا دمشق ويمكن ان ينقل الى اي مدينة عربية اخرى اذا اقتضت ذلك المصلحة القومية.

المادة الثالثة ـ حزب (البعث العربي) قومي يؤمن بأن القومية حقيقة حية خالدة ، وبأن الشعور القومي الواعي الذي يربط الفرد بأمته ربطا وثيقا هو شعور مقدس ، حافل بالقوى الخالقة ، حافز على التضحية ، باعث على الشعور بالمسؤولية ، عامل على توجيه انسانية الفرد توجيها عمليا مجديا .

والفكرة القومية التي يدعو اليها الحزب ، هي ارادة الشعب العربي ان يتحرر ويتوحد وأن تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ ، وان يتعاون مع سائر الامم على كل ما يضمن للانسانية سيرها القويم الى الخير والرفاهية .

المادة الرابعة ـ حزب (البعث العربي) اشتراكي ، يؤمن بأن الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية ، لأنها النظام الامثل الذي يسمح للشعب العربي بتحقيق امكانياته وتفتح عبقريته على اكمل وجه ، فيضمن للأمة نموا مطردا في انتاجها المعنوي والمادي ، وتآخيا وثيقا بين افرادها .

المادة الخامسة ـ حزب (البعث العربي) شعبي يؤمن بأن السيادة هي ملك الشعب ، وانه وحده مصدر كل سلطة وقيادة ، وان

قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن ارادة الجماهير . كما ان قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها . لذلك يعتمد الحزب في أداء رسالته على الشعب ، ويسعى للاتصال به اتصالا وثيقا ويعمل على رفع مستواه العقلي والاخلاقي والاقتصادي والصحي ، لكي يستطيع الشعور بشخصيته وممارسة حقوقه في الحياة الفردية والقومية .

المادة السادسة ـ حزب (البعث العربي) انقلابي يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية ، لا يمكن ان يتم الا عن طريق الانقلاب والنضال ، وان الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالاصلاح الجزئي السطحي ، يهددان هذه الاهداف بالفشل والضياع . لذلك فهو يقرر :

١ ـ النضال ضد الاستعمار الاجنبي لتحرير الوطن العربي تحريرا مطلقا كاملا .

٢ ـ النضال لجمع شمل العرب كلهم في دولة مستقلة واحدة .

٣ ـ الانقلاب على الواقع الفاسد انقلابا يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

المادة السابعة ـ الوطن العربي هو هذه البقعة من الارض التي تسكنها الامة العربية ، والتي تمتد ما بين جبال طوروس وجبال بشتكوه وخليج البصرة والبحر العربي وجبال الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط .

المادة الثامنة ـ لغة الدولة الرسمية ولغة المواطنين المعترف بها في الكتابة والتعليم هي اللغة العربية .

المادة التاسعة ـ راية الدولة العربية هي راية الثورة العربية التي انفجرت عام ١٩١٦ لتحرير الامة العربية وتوحيدها .

المادة العاشرة ـ العربي هو من كانت لغته العربية ، وعاش في الارض العربية او تطلع الى الحياة فيها ، وآمن بانتسابه الى الامة العربية .

المادة الحادية عشرة ـ يجلى عن الوطن العربي كل من دعا او انضم الى تكتل عنصري ضد العرب ، وكل من هاجر الى الوطن العربي لغاية استعمارية .

المادة الثانية عشرة ـ تتمتع المرأة العربية بحقوق المواطن كلها ، والحزب يناضل في سبيل رفع مستوى المرأة حتى تصبح جديرة بتمتعها بهذه الحقوق .

المادة الثالثة عشرة ـ تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم والحياة الاقتصادية ، كي يظهر المواطنون في جميع مجالات النشاط الانساني كفاءاتهم على وجهها الحقيقي وفي حدودها القصوى .

٣ ـ سياسة الحزب الداخلية

المادة الاولى ـ نظام الحكم في الدولة العربية هو نظام نيابي دستوري ، والسلطة التنفيذية مسؤولة امام السلطة التشريعية التي ينتخبها الشعب مباشرة .

المادة الثانية ـ الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة أمة واحدة ، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية

والعرقية والاقليمية .

المادة الثالثة ـ نظام الادارة في الدولة العربية ، نظام لا مركزي .

المادة الرابعة ـ يعمل الحزب على تعميم الروح الشعبية (حكم الشعب) وجعلها حقيقة حية في الحياة الفردية ، ويسعى الى وضع دستور للدولة يكفل للمواطنين العرب ، المساواة المطلقة امام القانون ، والتعبير بملء الحرية عن ارادتهم واختيار ممثلهم اختيارا صادقا ، ويهيّء لهم بذلك حياة حرة ضمن نطاق القوانين .

المادة الخامسة ـ يوضع بملء الحرية تشريع موحد للدولة العربية ، منسجم مع روح العصر الحاضر ، وفي ضوء تجارب الامة العربية في ماضيها .

المادة السادسة ـ السلطة القضائية مصونة ومستقلة عن اية سلطة أخرى ، وهي تتمتع بحصانة مطلقة .

المادة السابعة ـ تمنح حقوق المواطنين كاملة لكل مواطن عاش في الارض العربية ، وأخلص للوطن العربي ، وانفصل عن كل تكتل عنصري .

المادة الثامنة ـ الجندية اجبارية في الوطن العربي .

٤ ـ سياسة الحزب الخارجية

المادة الاولى ـ تستوحي السياسة الخارجية للدولة العربية ، من المصلحة القومية العربية العليا ومن رسالة العرب الخالدة التي ترمي الى المساهمة مع الامم الاخرى في ايجاد عالم منسجم حر آمن ، يسير في سبيل التقدم الدائم .

المادة الثانية ـ يناضل العرب بكل قواهم لتقويض دعائم الاستعمار والاحتلال وكل نفوذ سياسي او اقتصادي أجنبي في بلادهم .

المادة الثالثة ـ لما كان الشعب العربي وحده مصدر كل سلطة ، لذلك تلغى كل ما عقدته الحكومات من معاهدات واتفاقات وصكوك تخل بسيادة العرب التامة .

المادة الرابعة ـ ان السياسة العربية الخارجية تهدف الى اعطاء الصورة الصحيحة عن ارادة العرب بأن يعيشوا أحرارا ، وعن رغبتهم الصادقة بأن يجدوا جميع الامم تتمتع مثلهم بالحرية .

٥ ـ سياسة الحزب الاقتصادية

المادة الاولى ـ (حزب البعث العربي) اشتراكي يؤمن بأن الثروة الاقتصادية في الوطن ملك للأمة .

المادة الثانية ـ ان التوزيع الراهن للثروات في الوطن العربي غير عادل ، ولذلك يعاد النظر في أمرها ، وتوزع بين المواطنين توزيعا عادلا .

المادة الثالثة ـ المواطنون جميعا متساوون بالقيمة الانسانية ، ولذا فالحزب يمنع استثمار جهد الآخرين .

المادة الرابعة ـ المؤسسات ذات النفع العام وموارد الطبيعة الكبرى ووسائل الإنتاج الكبير ووسائل النقل ملك الامة تديرها الدولة مباشرة ، وتلغى الشركات والامتيازات الاجنبية .

المادة الخامسة ـ تحدد الملكية الزراعية تحديدا يتناسب مع مقدرة المالك على الاستثمار الكامل دون استثمار جهد الآخرين ، تحت

اشراف الدولة ووفق برنامجها الاقتصادي العام .

المادة السادسة ـ تحدد الملكية الصناعية الصغيرة بما يتناسب مع المستوى الاقتصادي الذي يتمتع به بقية المواطنين في الدولة .

المادة السابعة ـ يشترك العمال في ادارة المعمل ، ويمنحون عدا أجورهم التي تحددها الدولة ، نصيبا من أرباح العمل ، تحدد الدولة نسبته .

المادة الثامنة ـ ملكية العقارات المبنية مباحة للمواطنين جميعا ، على ألا يحق لهم ايجارها واستثمارها على حساب الآخرين ، وأن تضمن الدولة حدا ادنى من التملك العقاري للمواطنين جميعاً .

المادة التاسعة ـ التملك والارث حقان طبيعيان ومصونان في حدود المصلحة القومية .

المادة العاشرة ـ يلغى الربا بين المواطنين ، ويؤسس مصرف حكومي واحد ، يصدر النقد الذي يضمنه الانتاج القومي ، ويغذي المشاريع الزراعية والصناعية الضرورية .

المادة الحادية عشرة ـ تشرف الدولة اشرافا مباشرا على التجارتين الداخلية والخارجية لالغاء الاستثمار بين المنتج والمستهلك وحمايتهما ، وحماية الانتاج القومي من مزاحمة الانتاج الاجنبي ، وتأمين التوازن بين الصادر والوارد .

المادة الثانية عشرة ـ يوضع برنامج شامل في ضوء احدث التجارب والنظريات الاقتصادية ، لتصنيع الوطن العربي ، وتنمية الانتاج القومي ، وفتح آفاق جديدة له ، وتوجيه الاقتصاد الصناعي في كل قطر بحسب امكانياته وبحسب توفر المواد الاولية له .

٦ ـ سياسة الحزب الاجتماعية

المادة الاولى ـ الاسرة والنسل والزواج .

البند الاول ـ الاسرة خلية الامة الاساسية ، وعلى الدولة حمايتها وتنميتها واسعادها .

البند الثاني ـ النسل أمانة في عنق الاسرة اولا ، والدولة ثانيا ، وعليهما العمل على تكثيره والعناية بصحته وتربيته .

البند الثالث ـ الزواج واجب قومي ، وعلى الدولة تشجيعه وتسهيله ومراقبته .

المادة الثانية ـ صحة المجتمع .

تنشىء الدولة على نفقاتها ، مؤسسات الطب الوقائي والمصحات والمستشفيات التي تفي بحاجة المواطنين كلهم على الوجه الاكمل ، وتضمن لهم المعالجة المجانية .

المادة الثالثة ـ العمل .

البند الاول ـ العمل الزامي على كل من يستطيعه ، وعلى الدولة ان تضمن عملا فكريا او يدويا لكل مواطن .

البند الثاني ـ يجب ان يكفل مورد العمل لعامله ـ في الاقل ـ مستوى لائقا من الحياة .

البند الثالث ـ تضمن الدولة معيشة العاجزين عن العمل جميعا .

البند الرابع ـ سن تشريع عادل للعامل ، يحدد ساعات العمل اليومي ، ويمنحه عطلة اسبوعية وسنوية مأجورتين ، ويصون حقوقه ، ويكفل التأمين الاجتماعي في الشيخوخة

وتعويض العطل الجزئي او الكلي اثناء العمل .

البند الخامس ـ تأليف نقابات حرة للعمال والفلاحين وتشجيعها لتصبح اداة صالحة للدفاع عن حقوقهم ، ورفع مستواهم ، وتعهد كفاءاتهم وزيادة الفرص الممنوحة لهم ، وخلق روح التضامن بينهم ، وتمثيلهم في محاكم العمل العيا .

البند السادس ـ تأليف محاكم خاصة للعمل ، تمثل فيها الدولة ونقابات العمال والفلاحين ، وتفصل في الخلافات التي تقع بينهم وبين مديري المعامل وممثلي الدولة .

المادة الرابعة ـ ثقافة المجتمع .

البند الاول ـ يعمل الحزب في سبيل : ايجاد ثقافة عامة للوطن العربي ، قومية ، عربية ، حرة تقدمية ، شاملة ، عميقة ، وانسانية في مراميها ، وتعميمها في جميع اوساط الشعب .

البند الثاني ـ الدولة مسؤولة عن صيانة حرية القول والنشر والاجتماع والاحتجاج والصحافة ، في حدود المصلحة القومية العربية العليا ، وتقديم كل الوسائل والامكانات التي تحقق هذه الحرية .

البند الثالث ـ العمل الفكري من أقدس انواع العمل ، وعلى الدولة ان تحمي المفكرين والعلماء وتشجعهم .

البند الرابع ـ فسح المجال ـ في حدود الفكرة القومية العربية ـ لتأسيس النوادي وتأليف الجمعيات والاحزاب ومنظمات الشباب ومؤسسات السياحة ، والاستفادة من السينما والاذاعة والتلفزة ، وكل وسائل المدنية الحديثة في تعميم الثقافة

القومية وترفيه الشعب .

المادة الخامسة ـ الغاء التفاوت الطبقي والتمايز .

التفاوت الطبقي نتيجة لوضع اجتماعي فاسد . لذلك فالحزب يناضل في صف الطبقات الكادحة المضطَهدة من المجتمع ، حتى يزول هذا التفاوت والتمايز ، ويستعيد المواطنون جميعا قيمتهم الانسانية كاملة ، وتتاح لهم الحياة في ظل نظام اجتماعي عادل ، لا ميزة فيه لمواطن على آخر سوى كفاءة الفكر ومهارة اليد .

المادة السادسة ـ البداوة .

البداوة حالة اجتماعية ابتدائية تضعف الانتاج القومي وتجعل من فريق كبير من الامة عضوا أشل وعاملا على عرقلة نموها وتقدمها .

والحزب يناضل في سبيل تحضير البدو ، ومنحهم الاراضي والغاء النظم العشائرية ، وتطبيق قوانين الدولة عليهم .

٧ ـ سياسة الحزب في التربية والتعليم

ترمي سياسة الحزب التربوية الى خلق جيل عربي جديد ، مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها ، آخذ بالتفكير العلمي ، طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية ، مشبع بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الانسانية .

ولذا فالحزب يقرر :

المادة الاولى ـ طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية

والسياسية والعمرانية والفنية بطابع قومي عربي ، يعيد للأمة صلتها بتاريخها المجيد ، ويحفزها الى ان تتطلع الى مستقبل أمجد وأمثل .

المادة الثانية ـ التعليم وظيفة من وظائف الدولة وحدها ، ولذا تلغى كل مؤسسات التعليم الاجنبية والاهلية .

المادة الثالثة ـ التعليم بكل مراحله مجاني للمواطنين جميعا ، والزامي في مراحله الابتدائية والثانوية .

المادة الرابعة ـ تؤسس مدارس مهنية مجهزة بأحدث الوسائل ، والدراسة فيها مجانية .

المادة الخامسة ـ حصر مهنة التعليم وكل ما له مساس بالتربية بالمواطنين العرب ، ويستثنى من ذلك التعليم العالي .

مادة منفردة : لا تعدل المبادىء الاساسية والعامة . وتعدل بقية مواد الدستور بموافقة ثلثي اعضاء مجلس الحزب ، بعد اقتراح يقدم من اللجنة التنفيذية ، اومن ربع اعضاء المجلس او عشر أعضاء الهيئة العامة .

١٣ نيسان ١٩٤٧

ـــ هـ ـــ

بيان عن مقررات مؤتمر «البعث العربي» الاول فكرة عربية اشتراكية انقلابية وعمل واحد شعبي نضالي[1]

ارادة العرب هي أن يعيشوا احرارا في دولة واحدة ، وأن يجدوا جميع الامم تتمتع مثلهم بالحرية .

كان المؤتمر الذي عقده حزب البعث العربي في الاسبوع الماضي ، حدثا بارزا في تاريخ الحركة العربية الناشئة في سورية ومختلف اقطار العرب . فقد كان يضم جيلا واعيا من الشباب العربي الجديد ، المؤمن بأمته العظيمة ، وامكانيات شعبه الحي ، والعامل على تحرير العرب لأداء رسالة خالدة للانسانية .

وقد بدأ المؤتمر بخطاب الافتتاح الذي استعرض حركة البعث العربي منذ نشأتها الأولى في ظروف صعبة قاسية ، الى المرحلة الخطيرة التي هي فيها .

بيان سياسي : ثم تلي مشروع بيان سياسي عن اوضاع البلاد العربية في هذه المرحلة النضالية المؤلمة من تاريخ الامة العربية ، وتباحث المؤتمرون في مشاكل الاقطار العربية ، التي هي في الواقع مشكلة واحدة ، لأن الهدف الاول من وجود العرب السياسي ، هو صيانة مصلحة عربية واحدة ، تعتبر نقطة

البداية في كل خطوة يخطوها العرب في نضالهم السياسي ، للتحرر من الاستعمار ولانشاء كيان وطني عربي واحد بين شعوب العالم .

وقد بحث المؤتمرون في الخطوات الاولى التي يمكن ان يخطوها العرب في سبيل حل مشكلتهم . وانتهوا الى اقرار بيان سياسي عام ، ينشره الحزب قريبا . وقد تضمنت هذه المقررات بعض النقاط البارزة في هذا البيان السياسي .

دستور القومية العربية : ثم تلي مشروع دستور قومي لحركة البعث العربي ، ناقش المؤتمرون مواده وبنوده في جو علمي واسع ، وحماس عميق ، في مصلحة الامة العربية ، ثم انتهوا في جلسات المؤتمر الاخيرة من وضع دستور الحزب واقراره .

العرب امة واحدة حرة : وقد أقر المؤتمرون في مبادىء الدستور الاساسية ، ان العرب امة واحدة ، لها حقها الطبيعي في أن تحيا في دولة واحدة ، وأن تكون حرة في توجيه مقدراتها .

وحدة اقتصادية سياسية : ولذلك فان حزب البعث العربي يعتبر ان الوطن العربي وحدة اقتصادية سياسية لا تتجزأ ، ولا يمكن لاي من الاقطار العربية ان يستكمل شروط حياته منعزلا عن الآخر .

وحدة روحية ثقافية : ويعتبر الامة العربية وحدة روحية ثقافية تزول جميع الفوارق القائمة بين ابنائها بيقظة الوجدان العربي .

امة حية : وأقر المؤتمرون في المبدأ الثاني ، ان الامة العربية

ذات مزايا خاصة ، تجلت في نهضاتها المتعاقبة واتسمت بخصب الحيوية والابداع .

فرد عربي حر : ولذا فالحزب يعتبر ازدهار الوطن متوقفا على حرية الفرد ، ومدى الانسجام بين تطوره وبين المصلحة القومية . ولذا فان حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لأي سلطة أن تنتقصها .

في انسانية حرة متضامنة : وأقر المؤتمرون ان الاستعمار عمل اجرامي ، يكافحه العرب ويسعون الى مساعدة الشعوب المناضلة في سبيل حريتها . وان الانسانية مجموع متضامن في مصلحته ، مشترك في قيَمه ، يضمن التعاون بين الامم والرفاهية والسلام والسمو فيه .

حزب عربي شامل : ونصت المادة الاولى من المبادىء العامة ، على ان حزب البعث العربي حزب عربي شامل ، تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية . وهو لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا .

اشتراكية : ونصت المادة الرابعة على ان الحزب اشتراكي ، يؤمن بأن الاشتراكية ضرورة تتيح وحدها للشعب العربي تحقيق امكاناته ونموه المطرد .

شعبية : ونصت المادة الخامسة على ان الحزب شعبي ، يؤمن بأن السيادة للشعب ، وانه وحده مصدر كل سلطة ، وان قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن ارادة الجماهير ، كما ان قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها .

انقلابية : ونصت المادة السادسة على ان الحزب انقلابي ، يؤمن بأن حياة العرب التقدمية الجديدة ، لن تكون الا بانقلاب شامل على الواقع الفاسد ، يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ونضال في سبيل التحرر والوحدة .

المرأة العربية : ونصت المادة السادسة على ان المرأة العربية ، تتمتع بحقوق المواطن كلها ، والحزب يناضل في سبيل رفع مستواها .

حرية وتقدمية : وأقر المؤتمرون في المادة الثالثة من سياسة الحزب الخارجية ، ان العرب دوما في صف الحرية والتقدمية ، ضد الاستعمار والرجعية في العالم .

الثروة ملك الامة: وأقر المؤتمرون في سياسة الحزب الاقتصادية ان الثروة الاقتصادية في الوطن ملك للامة .

في سبيل عدالة اجتماعية : ان التوزيع للثروات في الوطن العربي غير عادل ، ولذلك يعاد النظر في أمرها وتوزع بين المواطنين توزيعا عادلا .

حقوق طبيعية : ونصت المادة الرابعة ، ان الملك والارث حقان طبيعيان ومصونان في حدود المصلحة القومية .

الدولة : ونصت المادة الخامسة ، ان المؤسسات ذات النفع العام وموارد الطبيعة الكبرى ووسائل الانتاج الكبير ، ملك الامة وتديرها الدولة مباشرة .

تحديد الملكيات: ثم أقر المؤتمرون تحديد الملكيات الزراعية والصناعية الصغيرة ، بشكل يمنع استثمار الافراد ، ويتناسب مع المستوى الاقتصادي للبلاد .

مصرف عربي واحد : ونصت المادة العاشرة عـلى أن يؤسس مصرف قومي واحد يصدر عنه النقد الذي يسنده الانتاج القومي .

اشراف الدولة على التجارة : ونصت المادة الحادية عشرة على ان الدولة تشرف اشرافا مباشرا على التجارتين الداخلية والخارجية ، لالغاء الاستثمار وحماية الانتاج القومي .

الاسـرة والنسل : وأقــر المـؤتمـرون في سيـاسـة الحـزب الاجتماعية، ان الاسرة خلية أساسية في الامة، وان النسل أمانة في عنق الدولة.

البداوة : وأقر المؤتمرون ان البداوة حالة اجتماعية ابتدائية، تشلّ نمو الامة وتقدمها، ولذلك فتحضير البدو ضرورة قومية.

العمل والعمال : وأقر المؤتمرون ان العمل إلزامي ، وأن الدولة تضمن لكل فرد عملا لائقا ، وتسن تشريعا عادلا للعامل وتكفل التأمين الاجتماعي .

ثقافة عربية : وجاء في السياسة الاجتماعية ان الحزب يعمل في سبيل ايجاد ثقافة عامة للوطن العربي ، قوميـة ، حرة ، تقـدمية ، تعمم في اوساط الشعب .

التـربية والتعليم : وأقــر المـؤتمـرون في سيـاسـة الحـزب التربوية أنه من الضرورة طبع كل مظاهر الحياة بطابع قومي عربي ، يحفز الامة الى ان تتطلع الى مستقبل مجيد ، وان التعليم من وظائف الدولة ، وانه مجاني .

مدارس مهنية وجـامعات : وأقـر المؤتمـرون وجوب انشـاء مدارس مهنية مجانية ، وانشاء جامعات عربية وتوسيعهـا ، وجعل

اللغة العربية رسمية فيها .

هذا وقد تضمن الدستور علاجا عربيا جديدا لجميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في الوطن العربي . وقد أحيل بعد اقراره الى لجنة خاصة لاعداده للنشر وسيصدره الحزب قريبا .

الامة العربية ودول العالم

أقر المؤتمرون :

١ ـ وجود مصلحة عربية عليا واحدة مستقلة نهتدي بها في علاقاتنا مع العالم ، وخاصة في موقفنا من كتلتي العالم المتنازعتين .

٢ ـ تأييد هيئة الامم المتحدة ، لتحقيق رغبات الشعوب في التحرر والسلام .

٣ ـ صداقة كل الدول والتعاون معها عدا الدول المغتصبة او المحتلة لبلد عربي او التي تتخذ موقفا عدائيا من الامة العربية وهي :

آ ـ انكلترا التي تحتل وادي النيل وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وليبيا والمحميات.

ب ـ فرنسا التي تحتل الجزائر وتونس ومراكش .

ج ـ اسبانيا التي تحتل قسما من مراكش «الريف».

د ـ تركيا التي اغتصبت كيليكيا ولواء الاسكندرون .

هـ ـ ايران التي اغتصبت منطقة الاحواز .

و ـ اميركا التي تتدخل في شؤون الشرق الاوسط ، بما لا يتفق ومصلحة العرب وتدعم موقف تركيا المغتصبة لأرض عربية

وتـؤيد الاستعمـار البريـطاني ، وتؤازر الصـهيـونيـة ، وتستلب ثروة الوطن العربي . ولذا قرر المؤتمرون :

٤ ـ دعوة الشـعب العربـي للتكتـل اسـتعدادا للنضـال ضد هذه الدول المعتدية .

٥ ـ مطالبة الحكومات العربية والجامعة العـربية بـاعادة النـظر في العلاقات الدبلوماسية مع هذه الدول المعتدية ، وبالاحتكام الى منظمة الامم المتحدة .

الامة العربية وجامعة الدول العربية

يسجل المؤتمرون على الجامعة العربية :

١ ـ النقص الخطير في ميثاقها الذي لم يمنع الدول العربية من عقد معاهدات مع الدول الاجنبية دون موافقتها .

٢ ـ تقصيرها في المطالبة بتحـرير الوطن العـربي وعدم مكـافحتها الاستعمار .

٣ ـ تقصيرها في العمل للوحدة .

ولذا قرر المؤتمرون :

٤ ـ وجوب قيام الجامعة بـالمطالبـة بجلاء المستعمـرين عن الوطن العربي كله ، والاحتكام الى منظمة الامم المتحدة .

٥ ـ سعي الجامعة لتحقيق مطالب العرب في شتى اقطارهم ، الممثلين فيها وغير الممثلين ، وتسـهيـل انضمام شمـال افريقيـا العربي اليها .

٦ ـ اتخاذها الخطوات العملية السريعة في سبيل الوحدة ، وهي :

آ ـ توحيد القوى العسكرية في الاقطار العربية .

ب ـ توحيد التمثيل الخارجي .
ج ـ الغاء جوازات السفر بين البلاد العربية .
د ـ الغاء الحواجز الكمركية .

الامة العربية والحكومات العربية

اقر المؤتمرون ان :

١ ـ تعذر قيام الحكم الدستوري الصحيح في البلاد العربية ، وبقاء التأخر الاجتماعي واستغلال قلة من الناس لجهود الشعب العربي .

٢ ـ وان تهاون الحكومات القائمة في الدفاع عن حقوق البلاد ، والتفريط بها لصالح الدول والشركات الاستثمارية الاجنبية ، انما هو نتيجة خروج هذه الحكومات من فئة استغلالية ، تعتمد في وجودها على ممالأة الاجنبي .

ولذا يرى المؤتمرون :

٣ ـ وجوب اتخاذ الخطوات السريعة ليمارس الشعب جميع حقوقه السياسية ممارسة فعلية ، وليضمن له حد كاف من العدل الاجتماعي .

٤ ـ اعادة النظر في المعاهدات والامتيازات المعقودة مع الدول والشركات الاجنبية .

حزب البعث العربي والاوضاع في سورية

أقر المؤتمرون :

١ ـ التمسك بالنظام الجمهوري وتقويته ، لانه النظام الاصلح

لمارسة الشعب حقوقه .

٢ ـ استنكار السياسة الانفصالية التي تسير عليها حكومتا سورية ولبنان ، ومطالبتهما ان ينهجا فـورا سياسة تـوحيديـة تدعم استقلال البلدين ، وتكون خطوة عملية للوحدة العربية .

٣ ـ استنكار اسلوب الحكم القائم الذي يهيمن عليه فئة من محترفي السياسة ، تتحكم بالسلطتين التنفيذية والتشـريعية ، فتـزيف الحكم الدستوري وتشوهه .

٤ ـ تقدير نضال الشعب المجيد في دفاعه عن الحريات الدستورية ، وفي احباطه المحاولة الآثمة لانتهاك حـرمة الدستـور في قضية الملاكات .

٥ ـ ضرورة متابعـة الشعب لنضاله ، ليتسلم مقـدراته بنفسـه ، فيحمي الدستور والحريات من العبث ، وينقيها من شوائب حكم الفئة المستغلة المحترفة .

٦ ـ تعديل قانون الانتخاب وفق الاسس التالية :

آ ـ ان يكون الانتخاب على درجة واحدة :

ب ـ ان يكون الانتخاب الزاميا .

ج ـ جعل الانتخاب على أساس قـومي ، والغاء الاعتبـارات الطائفية .

د ـ ضمان حرية الانتخاب بأن تتولاه حكومة حيادية نـزيهة تحترم الدستور ، وأن يسمح بالاشـراف على صنـاديق الانتخاب للمرشحين والممثلين عن الاحزاب والقضاة .

٧ ـ مسؤولية الحكومة في تهاونها بتوطيد الامن ، وعجزها عن معالجة

النزعات الاقليمية والعشائرية التي تخل بالامن ، وتهدد تماسك الوطن .

٨ ـ تسجيل تقصير الحكومة البالغ في اهمالها شؤون الصحة ، وامتناعها عن منحها ما تستحق من مخصصات . ويطالب المؤتمرون بزيادة مخصصات الصحة وانشاء المؤسسات الوقائية ، وتوسيع المؤسسات الحالية ، وتعميمها في القرى وبين البدو .

٩ ـ المطالبة بطبع التعليم بطابع قومي بارز ، وتوجيه النشء وجهة قومية صحيحة ، وتجهيز المدارس تجهيزا علميا وفنيا راقيا ، ورفع مستوى الجامعة السورية ، بزيادة مخصصاتها ، واستقدام الاساتذة الاكفاء للتدريس فيها ، وتجهيزها بالمخابر اللازمة ، وتوسيع فروعها ومشافيها .

١٠ ـ رفض الاتحاد مع أي حزب من الاحزاب القائمة في سورية ، لأنها كلها تكتلات وقتية فاقدة روح الحزبية الصحيحة التي تتيح لها الاستمرار ، ولأنها كلها تتصف بسطحية الفكرة واعتدالها ، وبالطابع الاقليمي في عملها ، ولا تتجاوب مع فكرة حزب البعث العربي القومية الاشتراكية الانقلابية ، ولا مع أساليبه في النضال .

حزب البعث العربي والشعب العربي

أقر المؤتمرون :

١ ـ الاعتماد في الدرجة الاولى على نضال الشعب العربي ، وضرورة

العمل على تركيز قواه الداخلية ، وتوحيد جهود هيئاته الشعبية المناضلة .

ولذا يرى المؤتمرون ضرورة الامور التالية :

آ ـ انشاء فروع لحزب البعث العربي في البلاد العربية التي لم تؤسس له فيها فروع ، وذلك لتأليف صف نضالي واع متين من أجل تحرير العرب وتوحيدهم .

ب ـ جواز التعاون مع الاحزاب العربية التقدمية ، التي تناضل ضد الاستعمار الخارجي والاستثمار الداخلي في سبيل تنظيم جبهة عربية نضالية شعبية قوية .

البعث العربي حزب المستقبل

وختاما فقد أبرز هذا المؤتمر بجلاء ووضوح ، ان حزب البعث العربي هو حزب المستقبل ، بل طريق الخلاص الوحيدة ، لملايين الشعب العربي من براثن الاحتلال الاجنبي والتجزئة الداخلية والظلم الاجتماعي.

حول السياسة الاقتصادية الداخلية

يستنكر المؤتمرون سياسة الحكومة الاقتصادية للأمور التالية :

١ ـ لأنها لم تتخذ منهجا اقتصاديا حازما لحماية الانتاج القومي من غزو الانتاج الاجنبي ، ولتأمين التوازن بين الصادر والوارد .

٢ ـ سكوتها عن الشركات الاجنبية التي تستغل حاجات الشعب الضرورية من نور وماء ونقل وغيره .

٣ ـ تـأليفها المجـالس الاقتصاديـة العليا من كبـار الرأسمـاليـين والمحتكرين .

٤ ـ تهاونها في مراقبة موارد الدولة ومؤسساتها ، مما أدى لحدوث الاختلاسات الفاضحة .

٥ ـ اصطناعها الاساليب السطحية الزائفة في مكافحة الغلاء ، مما أدى لفشل هذه المكافحة وتفاقم الغلاء .

٦ ـ اهمالها للعمال وتحيزها لأرباب العمـل وأصحاب الشـركات ، وعدم تطبيقها قانون العمل بروحه ونصه .

٧ ـ اهمالها للفلاحين وخضوعها لمآرب الاقطاعيين .

٨ ـ اهمالها العمل على تنيمـة الانتاج الزراعي ، وتـوسيع الري ، وتقديم الاوائل الزراعية الحديثة .

٩ ـ عدم اتباعها سياسة نقدية مستقلة ، وتراخيها حيال منـاورات فرنسا في مصلحة القطع وغيرها ، وسكـوتها عن بنـك سوريـا ولبنان الاجنبي .

ويطالب المؤتمرون بأن تقوم سياسة الحكومـة الاقتصاديـة في المرحلة الحالية على الاسس التالية :

١ ـ صد تيار الانتاج الاجنبي ، وحماية الانتاج الوطني بعد مراقبة وتحديد اسعاره .

٢ ـ توسيع مدى التصدير ، وارسال بعثات تجاريـة الى الخارج ، لفتح آفاق جديدة في التصدير .

٣ ـ تصفية اعمال الشركات الاجنبية .

٤ ـ اعادة النظر في توزيع الضرائب ، وفرض ضرائب تصاعدية على

الدخل والتملك والارث .

٥ ـ تعديل تشريع العمال الحالي تعديلا يلغي طغيان رأس المال على العمل ، ويحبط من مؤامرة اصحاب العمل في استغلال العمال ومحاولتهم حجب مفعول تشريع العمال عنهم بشتى الوسائل .

٦ ـ وضع تشريع عادل للعمال والفلاحين والعمال الزراعيين ، ينصفهم من طغيان الاقطاعيين وملاكي الاراضي .

٧ ـ انشاء وزارة خاصة للزراعة ، تعمل على ايجاد الوسائل المختلفة لتنمية الانتاج الزراعي ، بتقديم الوسائل الزراعية الحديثة والاسمدة الكيماوية ، بتسهيلات كبيرة ، بعد تجربتها والتأكد من ملاءمتها لتربة الوطن وخصائصه الزراعية .

٨ ـ توسيع مصلحة الري لاحياء كل وسائل الري القديمة ، من أقنية رومانية وغيرها ، وفتح آفاق جديدة من الري ، باستخدام الوسائل الحديثة ، حتى تضيق الى اقصى حد ممكن مساحة الاراضي البعلية .

٩ ـ انشاء مدارس مجهزة بأحدث الوسائل للزراعة وإيفاد البعثات الزراعية الى الخارج .

١٠ ـ العناية بالبادية للاستفادة منها في تربية المواشي ، بتعميم الامن وحفر الآبار الارتوازية وانشاء المناهل .

١١ ـ مكافحة الغلاء باتخاذ التدابير التالية :

آ ـ حشد كل امكانيات الحكومة وخبرائها ، لتوفير الغذاء والكساء بأقل سعر ممكن لابناء الطبقات الشعبية من العمال والفلاحين .

ب ـ الاشـراف على التجـارة الخارجيـة ، وتحديـد الارباح والاسعار .

ج ـ الاشراف على التجارة الداخلية والشركات وكل مؤسسـات الانتاج الوطني ، وتحديد الاسعار والارباح ، والتدخل لمنع الاحتكار ، والغاء استثمار التاجر للمنتج والمستهلك ، وتوطيد التوازن بين مصلحتي الاخيرين .

د ـ تحديد اجور العمال تحديدا عادلا ، يضمن لهم حدا لائقا من العيش ، ويتناسب مع ارباح المؤسسات التي يعملون فيها .

هـ ـ تحديد اجور الاراضي تحديدا ينصف العمـل ، ويتناسب مع خصوبتها .

و ـ تحديد أجور العمال الزراعيين ، وتحسين الشروط التي يفرضها ملاكو الأراضي على الفلاحين ، حتى تضمن لهم حدا لائقا من العيش ، متناسبا مع انتاج الاراضي التي يعملون فيها .

ز ـ تخفيف الضـرائب المفروضـة على كـل ما يتعلق بغـذاء الشعب وكسائه وحاجاته الضرورية .

و
حول تأسيس الحزب ومؤسسيه[1]

ورد في افتتاحية «البعث» العدد ١٥٢ وفي نهاية الاسبوع الاول من انعقاد المؤتمر ما يلي : «كان المؤتمر القومي الاول لحزب البعث العربي في الحقيقة مسعى انشائيا ، قام به اعضاء حزب قد تعارفوا منذ سنوات ، والتقوا حول مبادئه الكبرى وخطوطه الرئيسية ، ووضعوا عقولهم ونفوسهم في خدمة هذه المبادىء لتحقيق مثلهم واهدافهم .

ولقد كانت القناعة حاصلة منذ سنوات عند الذين أسسوا هذا الحزب ، بأن العمل السياسي المسؤول المستقر المستمر ، لن يكون ابدا الا عمل حزب ينتظم الافراد الذين يدينون بفكرة واحدة ، وتسودهم نظرة واحدة ، فيصهر نفوسهم وأفكارهم ويؤلف بينهم ويخلق منهم جسما حيا سليما منيعا ، لا ينال منه فساد المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا يلين لضغط القوى الماكرة التي تطبق عليه .. ولم يكن في مؤتمر البعث العربي ، رجال طوال عراض ولا أسماء ضخمة ولا أولو سمعة وصيت ،ملأوا الارض ضجيجا حتى ضج منهم كل من عليها ، ومع ذلك فقد كشف هذا المؤتمر لاعضاء الحزب ما عندهم من قابليات وما في الحزب من امكانات ، وظهرت فيه بذور القيادة القومية المقبلة . ولن تمض سنوات قليلة ، حتى يذهب الزبد ويولي الزيف ، ويزاح عن العرب هذه القيادة الجاثمة فوق صدورهم المتحكمة

---

١ ـ في هذه الفقرة وكذلك المقتطفات التي تليها من وثائق الحزب وتراثه، اعتمدنا الجزء الاول من «نضال البعث» الطبعة الثالثة لعام ١٩٧٢ ـ دار الطليعة ـ بيروت

بمصيرهم . وبعد فقد كان المؤتمر الاول لحزب البعث العربي ، حادثا تاريخيا في حياة اعضاء الحزب ـ وستبرهن الايام عما اذا كان كذلك في تاريخ السياسة العربية الحديثة .....» ص ١٥٦ .

(١٥ نيسان ١٩٤٧)

ـ ٧ ـ

مقتطفات من وثائق الحزب وتراثه

١ ـ المثالية العملية :

● «اذا بدا لبعض انصارنا والمؤمنين بفكرتنا ان في عملنا ما يدعو الى الاستغراب، فذلك لأنهم لم يقدّروا بعد ان مثاليتنا ليست خيالية تتجاهل الواقع ، بل انها المثالية العملية التي تدخل الواقع لتسيره وتغيره . وان لهم من ماضينا وحاضرنا ما يبعث فيهم الاطمئنان التام الى مستقبلنا . فلن نتساهل في مبادئنا قيد شعرة ، ولن نقبل بالتعاون مع الصف الوطني الا على اساس الاحتفاظ باستقلال شخصية الشباب القومي الذي نمثله ، واعتبار المطاليب الوطنية حدا ادنى لمطاليبنا القومية» . ص ٢٥ .

(حزيران ـ ١٩٤٣)

٢ ـ الجيل الجديد والنضال الطويل :

● «نحن في دور الممهدين ، مهمتنا شق الطريق للجيل الجديد لا تعبيدها ، رفع الاشواك لا زرع الرياحين . غرس البذور الخالدة ،

لا قطف الثمار اليانعة ، لذلك لن ندخل الحكم عاجلا ، وفي صف النضال سنبقى طويلا» . ص ٢٨ .

(بيان تموز ١٩٤٣)

- «لابد ان يقتنع الناس أخيرا بأن بعث الامة هو أمر أكثر جدية مما يظن ، وانه لا غنى له عن جميع الشروط التي تقتضيها قوانين الحياة لنجاح حركة أصيلة . فلابد من زمن كاف لنشدان الفكرة التي يقوم عليها البعث نشداناً دؤوبا عميقا صبورا ، اذ انها بالضرورة فكرة جديدة غير مألوفة ، غامضة تحتاج الى التوضيح ، بعيدة لا تنال بيسر وسهولة» . ص ٩٨ .

(افتتاحية البعث ٢ تموز ١٩٤٦)

- «ولكن فئة كهذه الفئة الحاكمة انبثقت عن طبقة مستثمِرة مستغِلة ، شاخت عزيمتها ، ونضبت عبقريتها ، وجف ينبوعها وانقطعت صلتها بالشعب ، فلا تتحسس بآماله وآلامه ، هي أعجز عن ان تقوم بحمل هذه الاعباء . تلك الاعباء التي لن يستطيع حملها الا الجيل الجديد ، الفتي المؤمن المتوثب الجبار» . ص ١٨٧ .

(البعث ٢٥ حزيران ١٩٤٧)

٣ ـ واقع الحكام وسياستهم :

- «كانت أكثر الحكومات خضوعا للاجنبي ورجعية في الوضع

الاجتماعي ، تستطيع ان ترفع شعار الوحـدة العربيـة وتكسب تأييدا رخيصا ، لانها كانت لا تؤمن بجدية هذا الشعار وامكانية تحقيقه» . ص ٥٥ .

(نشرة دورية ٢٠ نيسان ١٩٤٥)

● «ان سلاح استدرار العطف ، واستجداء الشفقة العالمية ، الذي تتسلح به الحكومات لمعالجة الموقف الحاضر ، هو سلاح قاصر لا يحمي استقلالنا اذا لم يدعمه حشد قوى الشعب وتهيئته لدفع كل عدوان جديد» . ص ٦٩ .

(بيان ٩ حزيران ١٩٤٥)

● «فالحكم الذي يسمي نفسه وطنيـا وهو ينهش من جسم الوطن ويمتص دماء المواطنين ، ويجعل من الوطنية تجارة ووسيلة لاذلال الملايين من افـراد الشعب ، وابقائهم في جحيم الجهـل والفقر والمـرض ، ليتسنى لزمـرة من المستغلين ان يبـذخـوا ويلهـوا ويتحكموا ... والحكم الذي يسمي نفسه جمهوريا ، وليس فيه أثر لرأي الجماهير واحترام لارادتها او حساب لمصلحتها ، يستأثر فيه بالسلطة اشخاص معدودون لم يخرجوا من الشعب بل فرضوا عليه» . ص ١٤٤ .

(افتتاحية البعث ١٨/٨/١٩٤٦)

● «فالطبقة الحاكمة في البلاد العربية ، هي بحكم تركيبها وتربيتها

ومصالحها ، عاجزة ، ان لم نقل كارهة ، عن تحقيق التحرر القومي التام ، وتحقيق الوحدة بين أجزاء أرض العرب» . ص ١٥٣ .
(البعث ١١ آذار ١٩٤٧)

٤ ـ الجامعة العربية :

● «ان التعاون الذي حققه ميثاق الجامعة هو تعاون قاصر قد يتحقق مثله بين دول غربية متباينة في اللغة والعنصر والتاريخ ، وبعيدة عن بعضها في الاقليم والقارة . فالميثاق في مجموعه ، اقرار لحالة التجزئة الراهنة في العالم العربي ، وتوكيد للنزعات الشخصية في الفئات الحاكمة ، واذعان من دول الجامعة لسياسة الامر الواقع الذي سهل عليها التراجع امام مطامع الاجنبي ضد بعض اجزاء الوطن العربي ، كاعترافها بعدم بلوغ فلسطين طور النضج السياسي ، واهمالها شأن الاجزاء العربية الاخرى في أفريقيا الشمالية وغيرها . وسكوتها عن الخطر الصهيوني وعن اغتصاب تركيا للواء الاسكندرونة» . ص ٥٦ .
(نشرة داخلية ١٢ نيسان ١٩٤٥)

● «فالواقع الذي يتضح يوما بعد يوم هو ان الجامعة ، ليست خطوة في طريق الوحدة العربية ، بل عثرة .

ان ميثاق الجامعة العربية صورة ناقصة مشوهة لأماني

العرب الحقيقية في الوحدة ، لانه صادر عن حكومات ، هي صورة ناقصة مشوهة لحقيقة الشعب العربي . ولكن هذا الميثاق بالرغم من جميع علله ونواقصه ، قادر على تحقيق بعض الخير الاكيد لبلاد العرب ، فيما لو استطاعت الحكومات ان تخلص له وتفيد من جميع امكاناته» . ص ١٢٢ .

(افتتاحية البعث ١٢ آب ١٩٤٦)

٥ ـ **الوحدة العربية** :

- «والحقيقة ان الغاية الاولى التي كان ينشدها شعب سورية العربي وهي استقلاله الناجز ، ليست في عرفه غير واسطة لبلوغ الغاية الحقيقية ، وهي وحدة الاقطار العربية ، لا التعاون بينه وبين هذه الاقطار» . ص ٤٠ .

(بيان ٨ آذار ١٩٤٥)

- «لابد لنا بهذه المناسبة ، من أن نسجل رأينا في موضوع وحدة سورية الطبيعية ، او ما سمي حديثا بسورية الكبرى . اننا نعتبر امر توحيد سورية الطبيعية من قبيل ارجاع الحق الى نصابه ، ولا نقبل ان ندخل في سبيل تحقيق هذا التوحيد في اية مساومة يمكن ان تؤدي الى تنازلنا عن اي حق من حقوقنا القومية الازلية ، في عروبة فلسطين ووحدة ارضها وسلامتها ، او في أي جزء من أجزاء سورية العربية . كما اننا لا نعترف بأي مشروع لا ينال موافقة الشعب العربي نفسه ، في هذا القطر ولا يتفق مع المصلحة العربية

العليا . وفي اعتقادنا ان مصلحة العرب العليا تقضي بأن لا يرضوا عن الحكم الدستوري بديلا ، وان يسعوا الى النظام الجمهوري كغاية ، لانه أضمن لتطورهم وتحقيق امكانياتهم القومية . ولكن لا يعقل ان يقيموا من هذا النظام عقبة في طريق تقدمهم نحو الوحدة .

وعليهم ان يعتبروا أخيرا ان الخطوة الجدية الحاسمة في طريق هذه الوحدة هي توحيد سورية والعراق» . ص ٨٥ .

(بيان ١٤ كانون الاول ١٩٤٥)

● «فقد أقرت هذه الحكومة الانفصال والانكماش ، بالرغم من التظاهر بالميل الى الوحدة . ولكننا لا نجد عمليا اي تضحية فعلية في سبيل الوحدة العربية . اذ ان الخطوات الاولى في سبيل الوحدة العربية ، هي التمرد على كل نفوذ يحاول الاجنبي فرضه اوتعزيزه في أي قطر من أقطار الوطن العربي ، والعمل على ازالة تلك الحواجز والحدود التي فرضها الاجنبي ، والتي استمرت الفئات الحاكمة العربية على الاعتراف بها واحترامها كالرسوم الجمركية وجوازات السفر والجنسيات المختلفة» . ص ١٧٤ .

(بيان ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧)

٦ ـ في العمل الجبهوي :

● «أما موقفنا من الاحزاب ، فنحن لا نرفض فكرة التعاون معها ، ولكننا نقيدها بجملة تحفظات وشروط تجعل مجال تطبيقها محصورا في نطاق بعض الاحزاب دون البعض الآخر ومقتصرا

على بعض الحالات العامة التي يكون فيها التعاون ضرورة قومية . وتفصيل ذلك اننا نخرج من نطاق التعاون الاحزاب التي تقوم في أساس تشكيلها على ارتباط اجنبي وعلى فكرة مخالفة للقومية العربية .

أما الاحزاب الاخرى ، فاننا نحكم عليها بمقياس حكمنا على الدور الحاضر ، فمن المعروف اننا معارضون لهذا الدور منذ ابتدائه . اذن فلا نقبل بالتعاون مع الاحزاب التي تماثل المجموعة القائمة على هذا الدور او تفوقها في التهاون بالمبادىء والاهداف الوطنية ، وفي سياسة الانتفاع» . ص ٨٢ .

(تصريح ١٦ ايلول ١٩٤٥)

● «لن يتأخر اليوم الذي سيظهر فيه تضامن الفئات الجديدة في البلاد العربية تضامنا عمليا، فتتحد جبهة التقدم لتقف في وجه الرجعية الموحدة بطبعها . ولن يجدي العمل بعد اليوم ، ما لم يغد عربيا لا محليا ، وما لم تتضامن قوى التحرر فتجمع هذه القوى المتماثلة المبعثرة في أرجاء البلاد العربية ، وتوحد شتاتها وتقف بها في وجه العدو الواحد لديها جميعا : الاستعمار والرجعية» . ص ١٢٥ .

(افتتاحية البعث ٢٥ ايلول ١٩٤٦)

● «وعرف الحزب ان العمل الشعبي الصحيح ، وتنظيم القوى الشعبية للامة العربية ، في صف نضالي موحد ، هو السبيل الى انقاذ البلاد العربية من براثن الاستعمار ، ومن مآسي الجهل والفقر والاقليمية والطائفية والاستثمار . واذا كان حزب البعث

العربي ، اول من نادى بفكرة انشاء جبهة شعبية عربية اوجامعة شعبية تتخطى الحواجز التي وقفت امام الجامعة الرسمية ، فلقد كان له رأيه الصريح في كل التطورات التي مرت على هذه الفكرة» . ص ١٥٥ .

(من رسالة الى اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام بالقاهرة ـ ٢٣ آذار ١٩٤٧)

● «أجاب الحزب بقبول الدعوة لحضور مؤتمر الاحزاب العربية القومية في بيروت ، شريطة ان تنحصر الدعوة بالاحزاب العربية الممثلة للاتجاه الشعبي الصحيح ، اي التي لا تمت الى الحكم القائم في البلاد العربية بصلة واضحة اومستترة ... ولكن الحزب انسحب من جلسة الافتتاح لعدم استطاعته الاشتراك في اتحاد لا يضمن سلامة العمل الشعبي النضالي من الانحراف والضعف» . ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(تصريح في ١٩٤٩/١/١٩)

٧ ـ تاميم الشركات الاجنبية :

● «فمشكلة الغلاء لن تحل الا على ضوء المباديء الاشتراكية التي يدعو اليها حزبنا بحرارة وايمان . انها لن تحل الا بتأميم الشركات الاجنبية ، وجعلها ملكا للدولة ، وانقاذ الشعب من استغلال تلك الشركات لحاجاته الحيوية ، من ماء وكهرباء

ومواصلات ، والا بتوزيع الاراضي التي تملكها الدولة على صغار الفلاحين ، فتنقذهم من الارتماء في أحضـان الاقطاعيـين الذين يستنزفون دماءهم ويمتصون جهودهم». ص ١٤٩ .

(بيان ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧)

● «ولكن شر ما في هذه الاتفاقية (التـابلاين) هـو انها تلقي بـذور الانحلال في مجال اليقظة القومية الناشئة ، وتلغم صرح النهضة العربية من أساسه . فعوضا عن قيام الحكومة بمشاريع قومية ، يحققها العرب بأنفسهم ولمصلحة أمتهم ويكون من نتيجتها اعادة ثقتهم بالامة وبامكانياتها ، نرى الحكومة بعقدها هذه الاتفاقية المجرمة ، تزيد من ضعف الثقة القومية وتركز في أذهان الشعب انه عاجز عن تحقيق اي مشروع الا اذا كان صاحبه او المنتفع هو اجنبي». ص ٢٦٦ .

(نشرة ٥ آذار ١٩٤٩)

٨ ـ الحياد الايجابي وعدم الانحياز :

● «وكل تفكير يستند الى ان العالم منقسم بالفعل الى كتلتين ، وان على العرب يكونوا في صف احداهما ، هو تفكير اجرامي . فالعرب يهدفون الى السلام في ظل احترام استقلال الامم ، ولن يتم ذلك الا بالقضاء على سياسة اقتسام النفوذ وسياسة الاتفاقيات الثنائية ، وبجعل مباديء هيئة الامم المتحدة تنبض بالحياة ... والواقع ان سياسة الحكومات العراقية المتعاقبة ، ومنها الحلف التعاهدي مع تركيا وايران ، هي سياسة مستوحـاة من التطاحن الدولي بـين

المعسكرين الانكلو امريكي والسوفيتي . وهي خطة منحرفة ضارة ، لأن الانضمام احدىٰ هاتين الكتلتين ليس غير مجدٍ للعرب فقط ، بل سيعود عليهم بأوخم النتائج» . ص ١٦١ .

(افتتاحية ٢٢ نيسان ١٩٤٧)

● «فمصلحة البلاد العربية لا يمكن ان تكون بشكل من الاشكال في جانب الكتلة الغربية او في جانب اي عضو من اعضائها ، وبالتالي فسياسة الحكومات العربية ، يجب ان تكون سياسة حياد في النزاع القائم بين الكتلتين العالميتين ، لا ان ترتبط مع اعداء العرب بمعاهدات جديدة في الوقت الذي يجب ان تتخلص فيه من كل رابطة تربطها بهم» . ص ٢٢٤ ـ في سبيل البعث .

(البعث ٢١ كانون الثاني ١٩٤٨)

٩ ـ **قضية فلسطين : ووسائل انقاذها :**

● لقد عانىٰ العرب في سورية من شر هذه السياسة ، وعرفوا حقيقة المفاوضات ، وما تنطوي عليه من خدعة . كذلك عانتها فلسطين وعلى نطاق واسع ، فما فتيء الانكليز والامريكان واليهود من وراء الستار يدخلون في روع العرب ان قضية فلسطين هي قضية سياسية ، تحل بالمفاوضات والمؤتمرات ، وانها مسألة دعاية خارجية ، واقناع الشعبين الانكليزي والامريكي . ولقد كان من نتائج هذه الخطة المرسومة ، اننا وصلنا الى حال اصبحت فيه مصائر شعب بأسره موضوعا طريفا للخطابة والمناظرة» . ص ١٢٦ .

(افتتاحية البعث ٢٨ ايلول ١٩٤٦)

● «ان تقسيم فلسطين يجب ان يدرك معناه ويدرك مغزاه منذ اليوم وبكل وضوح . ولن ينجي العرب ان يستفيقوا غدا على هذا الخطر ، ان أغضوا اليوم أعينهم عنه . أن تقسيم فلسطين هو عين المصيبة القومية . وخطر التقسيم سيصيب العرب في جميع الاقطار العربية .

اولا : الخطر قومي ووطني : ففلسطين هي في قلب بلاد العرب ، كما هي قلب كل عربي . لقد امتزج تاريخ العرب بتاريخها ، فارتبط مصيرهم بمصيرها ، والتحمت بها أجزاء الوطن العربي ، فلا تتلاقى بدونها سورية ولبنان والعراق مع شرق الاردن ومصر والحجاز . واقتطاع فلسطين التي تشغل هذا المركز الجغرافي وسط بلاد العرب ، سيوقع العرب في مأساة اين منها مأساة الاندلس والاسكندرونة . فكل من هذين الجزأين يقع في طرف الوطن العربي ، واقتطاعهما منه كان بمثابة قطع اليد من الجسم . اما اقتطاع فلسطين فمعناه تقطيع اوصال الوطن العربي ، وتمزيق شمل العرب وصعوبة بناء الكيان القومي لدرجة الاستحالة ، وتعريض القضية العربية بأجمعها للخسران . التقسيم سيقضي على حلم الشعب العظيم بالوحدة العربية ، على املهم بأن يعيشوا عربا في وطن موحد الاجزاء كيما يبعثوا الحياة العربية ، ويؤدوا للعالم الرسالة العربية . بالتقسيم لن تكون الوحدة العربية وحدها التي ستطعن في الصميم ، فاستقلال البلاد العربية نفسه مهدد بالخطر» . ص ٢١٧ .

(البعث ٢١ كانون الاول ١٩٤٧)

● وتستمر الجامعة العربية ودولها في سياسة التهاون واتباع أساليب المفاوضات العقيمة التي اوصلت قضية فلسطين الى هذه الحالة المؤلمة ، ... فثمة بيانات وتصريحات مسؤولين تدل على ان رجال الحكومات العربية لايزالون يريدون الاستمرار في سياستهم الفاشلة القديمة ، باثارة التفاؤل من عرض القضية على مجلس الامن ، اومحكمة العدل الدولية ، اوبايهام الشعب وتضليله حول ندم امريكا على تأييدها للتقسيم ، وامكان تراجعها» . ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(بيان ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٨)

● «ومن الغريب حقا ان تستمر نظرة السياسة العربية الى هذه القضية ، على خطها في التوهم بأن المباحثات والتصريحات والانتظار واستجداء تأييد الدول وعطفها ، قد يغير من رأي هذه الدول ، ويدفعها الى نقض موافقتها على التقسيم ، ويعمل على ارجاع حق العرب في فلسطين اليهم» . ص ٢٢٥ .

(بيان ١٥ شباط ١٩٤٨)

١٠ ـ الكفاح الشعبي المسلح :

● «ولقد بدأت حركة البعث العربي في هذا الظرف العصيب ، بتنظيم شعبي عام «لفرق الجهاد الوطني» غايتها تعبئة قوى الشعب العربي ، وتنظيمها للدفاع عن حركة سورية واستقلالها . ولتطهير أرضها نهائيا من كل سلطة اجنبية .

١ ـ تقوم على ادارة «فرق الجهاد الوطني» لجان مختصة تضطلع بمهمام التنظيم ، وتتألف من أفراد مسؤولين من مختلف

رجال الشعب وهيئاته الوطنية .

٢ ـ تقوم هذه اللجان المسؤولة ، بانشاء فرق شعبية تخضع لنظام خاص بها ، وتتوزع مهام العمل النضالي الوطني .

٣ ـ تتألف فرق الجهاد الوطني من :

أ ـ فرق المقاومة .

ب ـ فرق المحافظة على الامن .

ج ـ فرق الاسعاف .

٤ ـ عدد افراد كل فرقة خمسة وعشرون شخصا يرأسها عريف ، له صلته المباشرة باللجنة المختصة .

٥ ـ في حالة الطوارىء ، تضع هذه اللجان والفرق نفسها ، تحت تصرف الحكومة ، في سبيل حفظ النظام والامن والدفاع عن الوطن» . ص ٦٦ .

(بيان ٢٠ آيار ١٩٤٥)

● «ان الدول الاجنبية الاستعمارية قد أسفرت أخيرا عن وجهها الغادر ، وكشفت الغطاء عن مؤامراتها المبيتة مع الصهيونية الباغية . ودخلت في مرحلة حاسمة وبلغت حدا من الخطورة لا سبيل معه لانقاذها الا بالحديد والدم» . ص ٢١٥ .

(بيان ، ٢ كانون الاول ١٩٤٧)

● «فالنهاية المفجعة التي وصلت اليها قضية العرب في فلسطين كانت واضحة منذ عامين على الاقل . ولو ان رجال الحكم في البلاد العربية ، كفوا العرب مؤونة التصريحات والخطب النارية طوال

هذين العامين ، لو انهم أقلوا من الكلام عن تصميمهم على الحرب والموت لانقاذ فلسطين ، في وقت ما كانت فلسطين بحاجة الى الحرب والموت ، لو انهم صرفوا وقتهم وجهدهم آنذاك لاعداد القوة ليوم الفصل الذي يجابهنا الآن ، وخزنوا الاسلحة والمعدات وهيأوا المحاربين والمجاهدين ، وعبأوا قوى الشعب وموارد البلاد ... لما وقع التقسيم ... الجهاد في سبيل وحدة فلسطين وعروبتها ليس وفاء للتاريخ العربي وتلبية لنداء الاجداد وحسب ، بل للحؤول دون تهديد الاقطار العربية جمعاء ، ودون وقوعها فريسة بين يدي هذا الاستعمار الجديد ، الصهيونية العالمية . منذ اليوم يجب ان تبدأ الحرب وأن تغمر فلسطين بجحافل العرب المقاتلين» . ص ٢١٦ ـ ٢١٩.

(البعث ٢١ كانون الاول ١٩٤٧)

● «ان حزب البعث العربي الذي لم يفتر منذ سنين عن دعوة الشعب والحكومات الى هذا الحل ، والذي لا يرى غير الجهاد سبيلا الى انقاذ فلسطين ، قد قرر في اجتماع مجلسه المنعقد بمدينة حمص في يومي الخميس والجمعة الوقعين في ١٥ ، ١٦ ، كانون الثاني ، تجنيد جميع اعضائه للاشتراك في المجهود الحربي في داخل البلاد العربية ، او في خطوط فلسطين الامامية . كما قرر ارسال اول كتيبة الى الجبهة بقيادة لجنة الحزب التنفيذية» . ص ٢٢٣.

(بيان ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٨)

● «اذكر انها التجربة الحاسمة التي تخوضها ، وتشعر فيها بـأن الدم والنار وحدهما سبيلك للدفاع عن وطنك وانهما السيف الظافر دائما . ومهما حاول الاستعمار والمنفذون لرغائبـه بلبلة افكارك وصدك عن حقك ليكن رمزك «السلاح ...» وشعارك «الى فلسطين العربية» . ص ٢٢٥ .

(بيان ٩ شباط ١٩٤٨)

١١ ـ **مقاطعة الدول المعادية ، وضرب مصالحها** :

● «لو كانت قرارات الدول العربية جدية صادقة ، فطبقت المقاطعة الاقتصادية على الصهيونيين وعلى الدول التي تؤيدهم ، هل كان يبقى في فلسطين خطر صهيوني ، وهل كان يبقى في العالم دول تستهين بارادة سبعين مليونا من العرب ، يعيشـون في ارض لا يمكن للعـالم ان يستغني عن خيراتهـا ، او يستخف بمـوقعهـا الجغرافي الممتاز» . ص ١٠٣ .

(افتتاحية البعث ١٠ تموز ١٩٤٦)

● «لو انهم وطدوا العزم على الاضرار بمصالح دول لاتفهم غير لغة المصـالح ، لو هددوا هـذه الدول بمنع النفـط والذهب عنهـا ، وبمقاطعتها مقاطعة اقتصادية ثقافية ، لو صرفوا وقتهم في هذا السبيل ... لما وقع التقسيم ...» .

● «على الحكومات العربية اتخاذ الخطوات اللازمة في وجـه الدول التي ايدت التقسيم ، ولا سيما التي حملت لواء تحقيقه . وهذه

الخطوات تنطوي على قطع العلاقات الاقتصادية والثقافية والدبلوماسية» . ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(البعث ٢١ كانون اول ١٩٤٧)

١٢ ـ استخدام النفط في المعركة :

● «ان غرض الدول الكبرى من فرض حلولها الجائرة ، وتنفيذها بالقوة في فلسطين ، الوصول الى الاستقرار في هذه النقطة الخطرة من الشرق الادنى . وعلى الشعب العربي ان يبرهن ان هذا الاستقرار لن يكون على حسابه . ولدى العرب في مجال القوة كثير من الاوراق يلقونها على المائدة في هذه اللحظات الحاسمة : ان البرتول العربي ومركز بلاد العرب الجغرافي كلاهما كفيلان بجانب القوة المادية المسلحة ، باعادة الحق لاهله» .

(البعث ١١ تشرين اول ١٩٤٧)

● «كما انها مازالت مستسلمة للدول الاستعمارية التي كانت السبب في نكبة فلسطين ، فامتنعت عن تهديدها بالسلاح الوحيد الذي يؤثر في مصالحها ، وهو فسخ اتفاقية البترول» . ص ٢٢٢ .

(بيان ٢٣ كانون ثاني ١٩٤٨)

● أما ان تبرم اتفاقية التابلاين فنسجل بذلك على أمتنا الذل والخضوع للاجانب ، ونعلن عجزنا عن استثمار ثروات أرضنا ونفتح الباب امام عقد الاتفاقيات المالية والعسكرية والسياسية

التي ستقضي على استقلالنـا ، وأما ان نفشّـل هذه الاتفـاقية ، فنجعـل من فشلها بـداية طريق النهـوض بعد الكبـوة وفاتحـة لاسترداد ثقتنا بانفسنا ، ووضـع حد لاستهتار الطامعين ببلادنا الكائدين لبقائها» . ص ٢٦٧ .

(بيان ٥ آذار ١٩٤٩)

١٣ ـ تاميم نفط العراق ورفض الاحلاف :

● «في منتصف شباط عام ١٩٥٢ اصدر البعثيون في القطر العراقي بيانا بتوقيع «الشباب العربي في العراق» وبعنوان «الشباب يرفض بشدة اتفاقيات النفط ويدعو لاحباط كافة المشاريع الاستعمارية» وتأتي اهمية هذا البيان من انه موقع من شباب ينتمون الى عدة اقطار عربية ، وهي «العراق وسورية والاردن وتونس» وكذلك من مطالبته بتأميم النفط ، ورفض الاحلاف العسكرية ، والدعوة الى سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز . ومما ورد فيه :

«اننا نحمّل الحكومة مسؤوليتها تجاه شعبنا في عملنـا هذا (عقد اتفاقيات نفطية جديدة) واذ نرفض بشـدة اتفاقيـة النفط الجديدة والقـديمة معـا ، لانها ضـد اهداف شعبنـا في التحرر السياسي والاقتصادي ، ولان هـدفه انمـا هو التـاميم والتأميم دائما . فاننا ندعو جماهير شعبنا الى تـأييد هـذا البيان ، والى ضرورة الاستمرار في النضال الشعبي ضد المعاهدات والاوضاع الاستعمارية في كافة انحاء الوطن العربي ، وضد جميع المشاريع الاستعمارية أيـا كان نـوعها ، وفي مقـدمتها مشـاريع الدفـاع

المشترك ، ولتحقيق اهداف شعبنا الاساسية «الوحدة والحرية والاشتراكية» ، ومن أجل صيانة وطننا العربي من خطر الحرب الاستعمارية وتحقيق حيادنا الحقيقي المنبثق من نضال شعبنا وتحرره من الاستعمار والاستغلال والاقطاعية الرجعية» .

(عن جريدة «الجبهة الشعبية» البغدادية ـ العدد ١٧٠ وتاريخ ١٩٥٢/٢/١٧) .

* كتب للمؤلف *

(١) حول الوحدة العربية ـ الطبعة الاولى ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق عام ١٩٥٧ ، والطبعة الثالثة في دار الطليعة ، بيروت عام ١٩٧٤ .

(٢) محافظة السويداء (مع آخرين) ، طباعة وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٥٩ .

(٣) في الثورة العربية ـ الطبعة الاولى : دار الطليعة ١٩٦٨ والطبعة الخامسة في المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت عام ١٩٧٥ ، وترجم الى الفرنسية ـ طبعة سادسة كانون اول ١٩٨٥ .

(٤) الوحدة العربية من خلال التجربة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الاولى ١٩٧١ . والطبعة الثالثة ١٩٧٤م : طبعة رابعة ـ كانون اول ١٩٨٥ .

(٥) حزب البعث العربي الاشتراكي ـ المرحلة التاسيسية ، دار الطليعة الطبعة الاولى حزيران ١٩٧٤ . والطبعة الخامسة في نيسان ١٩٨٢ ، كما تُرجم الى كل من الانكليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية .

(٦) بعض القضايا العربية ـ دار الطليعة ، الطبعة في شباط ١٩٧٥ والطبعة الثانية في ايار من عام ١٩٧٥ .

(٧) في الوحدة والحرية والاشتراكية ـ دار الطليعة ١٩٧٦ ، (كتابات منشورة بالعربية ثم تُرجمت في كتاب الى كل من الانكليزية

والاسبانية والفرنسية والالمانية) .

(٨) حول الوحدة والتضامن والتسوية ـ مطبعة دار الحرية بغداد ، ١٩٧٦ .

(٩) حزب البعث العربي الاشتراكي ـ مرحلة النمو والتوسع ، دار الطليعة والطبعة الثانية أيار ١٩٧٩ م .

(١٠) رسالة الامة العربية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى حزيران عام ١٩٧٨ . والطبعة الثانية في نيسان عام ١٩٧٨.

(١١) عروبة الاسلام وعالميته ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ، طبعة أولى : شباط ١٩٨٥ . طبعة ثانية حزيران ١٩٨٥ . طبعة ثالثة آب ١٩٨٥ .

(١٢) العلمانية والدولة الدينية ـ دار الشؤون الثقافية وزارة الاعلام ـ طبعة اولى حزيران ١٩٨٦ .

* محاضرات مطبوعة *

١ ـ دور الاحزاب العقيدية واثرها في تطور الأمة ، دمشق ١٩٥٤ .

٢ ـ تاريخ البعث «فكر ونضال» منشورات وزارة التخطيط، بغداد ١٩٧٦ .

٣ـ مقومات الوحدة وآفاق المستقبل بغداد ١٩٧٨.

٤ ـ أسلوب الحوار الديمقراطي ـ مطبعة الرشيد ، بغداد شباط ١٩٨٤ .

٥ ـ العرب مادة الأسلام ـ مطبعة واوفسيت رافد ، بغداد تموز ١٩٨٤ .

٦ ـ وحدة سوريا ومصر: دروس وعبر ـ تموز ١٩٨٥

* المؤلف في سطور *

- من مواليد عام ١٩٢٥ في محافظة السويداء ـ القطر العربي السوري.
- مجاز في التاريخ واهلية التعليم العالي من جامعة دمشق.
- انتسب لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٣ وحضر مؤتمره التاسيسي عام ١٩٤٧، واصبح عضوا في قيادته القطرية عام ١٩٥٦، وامين عام مساعد للحزب منذ ١٩٦٤ وحتى الوقت الحاضر.
- اعتقل ثلاث مرات لأسباب سياسية بين عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٦٦.
- تسلّم عدة وزارات في القطر السوري من ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ وهي: الاصلاح الزراعي ـ التربية والتعليم ـ الثقافة والارشاد القومي، ثم اصبح نائبا لرئيس الدولة.
- هرب من السجن في آب ١٩٦٦ الى لبنان ومنه الى بغداد في ايلول ١٩٦٨.
- حُكِمَ غيابيا بالاعدام، وبعد حوالي عام خفض للمؤبد.

* المراجع *

١ ـ الارسـوزي زكي ـ المؤلفـان الكـاملة ـ المجلد الاول ـ مـطابـع الاداره والسياسة للجيش والقوات المسلحة السورية ١٩٧٢.

٢ ـ المصري ساطع ـ يوم ميسلون ـ بيروت ـ دار الاتحاد ـ بلا تاريخ

٣ ـ عفلق ميشيل ـ في سبيل البعث ـ بيروت ـ دار الطليعة ط٣ ١٩٦٣

٤ ـ عفلق ميشيل ـ معركة المصير الواحـد ـ بيروت ـ المـؤسسة العـربية للدراسات والنشر حزيران ١٩٧٢

٥ ـ العيسمي شبلي ـ حول الوحدة العربية ط ٢ ـ بيروت ـ دار الطليعـة ١٩٧٤

٦ ـ العيسمي شبلي من الثورة العربية ط ٥ بيروت ـ المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر تموز ١٩٧٥

٧ ـ العيسمي شبلي العلمانية والدولة الدينية بغداد ـ دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٦

٨ ـ العيسمي شبلي رسالة الامة العربية ط ٢ ـ بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر حزيران ١٩٧٨

٩ ـ مرقص الياس ـ تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ـ بيروت ـ دار الطليعة ١٩٦٤

١٠ ـ نضال البعث الجزء الاول ـ بيروت ـ دار الطليعة ط ٢ كانون الثاني ١٩٧٠

١١ ـ دستور حزب البعث العربي الاشتراكي ـ دمشق حزيران ١٩٤٧

١٢ ـ بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣

* الصحف والمجلات *

ـ مجلة المناضل ـ لسان حال الحزب الحاكم في سورية العدد ٨٥ ايار ١٩٧٦

ـ مجلة المناضل ـ لسان حال الحزب الحاكم في سورية العدد ١١٥ تشرين ثاني ١٩٧٨

ـ صحيفة الجمهورية البغدادية ـ تاريخ ٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٩

ـ صحيفة البعث سورية ـ تاريخ ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٨٢

الفهرست

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

هذا الكتاب

«يعرض المواقف النضالية والسياسية البارزة، لحزب البعث العربي الاشتراكي، ومنطلقاته الفكرية والنظرية، وتجربته التنظيمية، في مرحلة الاربعينات التأسيسية. وذلك بشكل موضوعي، ومن خلال مواكبة المؤلف لنضال الحزب منذ نشأته الأولى.

ورغم ان الصورة التي يقدمها الكتاب موجزة، لاتعنى بالتفاصيل، فانها، بشمولها وابرازها القضايا الاساسية، تعكس مايطمح اليه القارئ من التعرف الى تاريخ البعث ودوره في حركة الثورة العربية المعاصرة».

الغلاف: رياض عبد الكريم

دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام

١٩٨٦